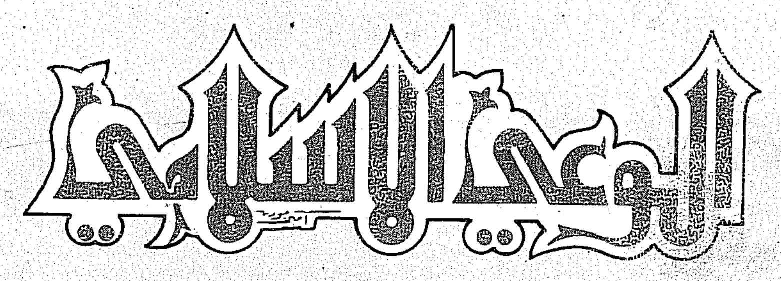


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٢٠ - ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ - يناير / فبراير ١٩٨٣ م

هديتك مع العدد : مجلة براعم الايمان

يقول تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٠ ـ ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ ـ يناير / فبراير ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

الذكرى العطرة

كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ادعو المسلمين الى أن يوفروا الدماء

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالذكرى العطرة لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عمت الاحتفالات شتى مناطق دولة الكويت ، وقد شارك التلفزيون والاذاعة في نقل الاحتفال من مسجد عبد العزيز المشاري في ضاحية اليرموك ..

ويطيب للوعي الاسلامي أن تسجل هنا نص الكلمة التي ألقاها سعادة الاستاذ / أحمد سعد الجاسر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واتبع رضوانه الى يوم الدين .

أيها الاخوة الكرام . لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان يجعل في الارض خليفة ، فأخبر بذلك ملائكته ومن قبل خلق ادم ، فقال تعالى « **اني جاعل في الارض خليفة** » ولقد تعهد سبحانه وتعالى ذرية آدم من بعده ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين ، رسلا قد قصصنا عليك ورسلا لم نقصصهم عليك .

وتواتر الرسل على دفعات متتالية يبشرون اقواما وينذرونهم ، ولقد كانت دعوات الرسل عليهم السلام لامم مختلفة ، وفي بقاع من الارض وعلى فترات من الزمن متعددة . حتى اتى الامر الى نهاية الرسالات وخاتم النبوات .. ففي عام شهد حادثة كبيرة سجلها الله سبحانه وتعالى في قوله « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.ألم يجعل كيدهم في تضليل .**

وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم



كعصف مأكول ». في ذلك العام حينما أراد أبرهة أن يعتدي على رمز العقيدة والتوحيد الذي بناه ابراهيم عليه السلام ، فقد حماه الله سبحانه وتعالى ، حمى هذا الرمز ، حمى البيت الحرام ، الكعبة المشرفة ، بآية من آياته سبحانه وتعالى معجزة ، ويشاء الله سبحانه ان يشهد نفس العام ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم لتكون بدءا لرسالة الاسلام التي اراد سبحانه وتعالى ان تكون خاتم الرسالات وليكون الرسول صلى الله عليه وسلم اخر الأنبياء ، وذلك بعد ان تأهلت الامة العربية لتلقى معجزة القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وبعد ان تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ رسالته ، على مر الاعوام والازمان ، وبعد ان امكن لهذا الكون ان يصل بعضه ببعض . وان تصل كلمة الله الى اطراف الدنيا ، من اقصاها الى اقصاها ، فلم تعد هناك حاجة الى رسل اخر يتلون محمدا صلى الله عليه وسلم . ولم تعد هناك حاجة الى رسالات اخرى ، فدين الله الاسلام هو خاتم الاديان . وهو الشامل لكل زمان ومكان .

قد خاطب الله سبحانه وتعالى امة الاسلام بقوله (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**) والاسوة الحسنة انما تكون بالعمل الصالح ، ولو نظرنا إلى واقع المسلمين لوجدنا البون شاسعا فيما بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ..

لقد تركنا الرسول صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، ولكن الاهواء والفتن والالحاد والكفر يحاول ان يقتحم علينا حصوننا ، وينال من عقيدتنا . وكم حذرنا الله تعالى فقال (**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين معه بأنهم (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**) فاذا بواقع المسلمين يقلب الاية رأسا على عقب ، فاذا بنا أشداء على أنفسنا رحماء بأعدائنا .. **وبعد ان كانت بلادنا لا تغيب عنها الشمس ، اخذت تأخذ في النقصان عاما من بعد عام .. وبعد ان كانت سيوفنا موجهة الى اعدائنا اصبحت سيوفنا موجهة الى صدورنا ، واصبح بأسنا بيننا ، ونحن امة واحدة . ربنا واحد وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة . (وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون)** .

لقد كانت لنا شخصيتنا الاسلامية المستقلة التي تميزها عن بقية الأمم . أمة ذات رسالة ، تحب الخير للناس جميعا ولا تضمر الحقد لأحد .. أمة تعطي أكثر مما تأخذ وتجير ولا تستجير ، وتغيث ولا تستغيث ، وتؤثر في غيرها أكثر مما تتأثر بها ، ويعيش العالم على تراثها ومعارفها . وأصبحنا الآن نستورد كل شيء من أعدائنا وأعداء ديننا . وقد غاب عنا قول الله تبارك وتعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) .

أيها الاخوة ، إنني أدعو المسلمين أن يكونوا على مستوى القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا ، وأفرادا وجماعات ، وأن يجعلوا من هذه الذكرى الطيبة منطلقا إلى استعادة شخصيتهم المستقلة المتميزة ، وتاريخهم الحافل بالبطولات والأمجاد ، وأمتهم الوسط .

إنني أدعو المسلمين إلى نبذ الخلاف ، وإلقاء السلاح فيما بينهم ، والاعتصام بحبل الله ، وأذكرهم بقوله سبحانه (**إنما المؤمنون إخوة**) ، وبقوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**)

أدعو المسلمين إلى أن يوفروا الدماء لأنفسهم ، ويوجهوا السلاح إلى عدوهم الذي يعمل على إذلالهم ، وابتلاع أرضهم ، وتوهين قواهم .

أدعو المسلمين إلى العلم النافع ، والعمل الصالح ، والجهاد الحق ، حتى يتحول ميزان الحياة إلى صالحنا ، ويصحو ضمير العالم بقضيتنا ، ونواجه بكل قوة التحديات التي تريد القضاء علينا .

وعندئذ نكون قد أرضينا ربنا ، وأرضينا رسولنا ، ونكون قد اقتدينا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا ، وأن يأخذ بنواصيهم إلى الخير ، وأن يحفظ بلادنا من كل سوء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الحرية ، والوحدة ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، من الركائز الأساسية التي أقام الاسلام عليها الحياة الكريمة للأمة الاسلامية .

فالحرية للانسان كالغذاء والهواء والماء ، لا يمكن أن يعيش بغيرها ، ولا أن يحيا بدونها . وهي في الاسلام لا يعني بها اتباع الشهوات ، وانطلاق النزوات دون ضابط ، فهذه بهيمية تحرم الانسان انسانيته ، وتدخله في عالم الحيوان . ولا يعني بها بلبلة الافكار وإثارة

الفتن ، فهذه فوضى تقوض دعائم المجتمع ، وتشرد به عن نطاق السلوك السوي .. ولا حرية في الاسلام للانانيين الذين يحبسون الحق المعلوم الذي فرضه الله في أموالهم للسائل والمحروم ، ولا للمعتدين على الحرمات ولا لدعاة التحلل والاباحية ، ولا لرواد التبعية للأمم غير المسلمة ، فان المجتمع الاسلامي له الحق كل الحق في المحافظة على كيانه ووجوده ، وله الضرب على يد كل من يحاول تدنيسه او الابتعاد به عن طريق الاستغلال والسيادة والطهر والنظافة .

وإنما يعني بالحرية في الاسلام خلاص الانسان من كل سيطرة تتحكم في تفكيره الصائب ، أو وجدانه الطاهر ، أو حركته المشروعة ..

فالانسان ـ في الاسلام ـ له الحرية في أن يفكر ويعمل عقله الذي وهبه الله له طريقا للعلم والمعرفة ، وفي أن يعبر عما يجيش في صدره من حق ، او ينتهي اليه تفكيره من صواب ، بالقلم كاتبا ، وباللسان خطيبا او متحدثا ، فقد خلق الله الانسان وعلمه البيان ... وللانسان الحرية في اختيار عقيدته الدينية ، فلا يكره على اتخاذ عقيدة بعينها ، ولا على تغيير دينه بدين آخر ، او العيش بغير دين ، او على تعطيل شعائر دينه ، او غير ذلك مما يقلق الضمير (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).. وله حرية الاجتماع بغيره لمناقشة الآراء ، وتبادل الافكار ، وتكوين الهيئة التي تقوم على اساس احترام مبادىء الاسلام ، وصيانة النظام الشرعي لحياة الأمة ، والتعاون على البر والتقوى ..

وله الحرية في كسب عيشه من طريق حلال ليكفي نفسه واهله ، ويعود بالعطاء على قرابته وجيرانه . فلا يجوز ان يغلق عليه باب العمل رأسا ، او يضيق عليه الخناق في تدبير امر رزقه حتى يعمل في غير اختصاصه ، او فيما لا يلائمه .. ولا يجوز ان يفصل من عمله عدوانا وطغيانا .. وله الحرية ـ داخل مسكنه ـ فلا يقتحم عليه بغير اذنه ، وله الحق في صيانة نفسه وعرضه وماله ، فلا يجوز ازهاق روحه بغير حق ، ولا يجوز تعذيبه او ايذاؤه الا في عقوبة شرعية قامت ادلتها وانتفت شبهاتها ، ولا يصح العدوان على مال جمعه من حلال ، ولم ينفقه في باطل ، ولم يبخل به على حق .

والوحدة بين المؤمنين على الحق مصدر قوة قاهرة لأعداء الاسلام ، وهي من صنع الله العزيز الحكيم ، قررها القرآن ، واكدها الايمان ،

ونطق بها تاريخ الامة الاسلامية واشتراكها في المصالح والآلام : (إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاتقون).

والدعوة الى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة دعوة خير ، تنير للانسانية طريق العدل والانصاف والرحمة .. طريق العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة والمعاملة الشريفة والاخلاق السامية والهمة العالية التي تأبى الضيم وترفض الذل : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

وجود هذه الأسس في الامة حية نابضة مطبقة نافذة ، هو من سبيل حياة الامة وعزتها وكرامتها .. ومن ثم كان من واجب المؤمنين ان يصونوها ، وان يحفظوها فاذا ما اعتدى عليها معتد جاهدوا في سبيلها لانها حق مقدس للمسلمين فمن حق المسلمين أن يعيشوا أحرارا لا يستعبدون ، وان يعيشوا مترابطين متوحدين لا يتفككون ولا يتمزقون بيد الأهواء والمطامع ، وان يخلو لهم السبيل في رقعة العالم الفسيحة ليقولوا كلمتهم ، وينشروا رسالتهم ، ويسهموا في تشييد صرح الانسانية على الحق والعدل .

إننا نحن المسلمين بعد الهوان الذي اصابنا على يد الصهيونية والقوى التي تساندها يجب ان تكون لنا من الاحداث عبرة ، وان نعود الى اسلامنا نهتدي بهدايته ونطبق احكامه ، لندرك ادراكا عميقا .. ان الحرية لا يسكت على ضياعها مؤمن مهما بلغ الطغيان .

وان الوحدة يجب ان تقوم بين المسلمين مهما بلغت وسائل الدس والوقيعة وان الدعوة الى الله لا بد ان تمضي الى اهدافها دون توقف ولا تردد .

وانه لا بد من تنفيذ امر الله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) وأن نصر الله للمؤمنين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم).. (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ونسأل الله تعالى التوفيق والنصر .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

روح اليسر

شرع الله تعالى للناس أنظمة محددة المعالم . مضبوطة القواعد ، واضحة الاهداف وضمنها روح اليسر ، واودع في تضاعيفها معاني التخفيف ورفع الحرج . رحمة بالناس ، ورفقا بهم ، وتسهيلا لرحلة الحياة عليهم ، لانهم اضعف من ان يكابدوها بدون تلطف ، واعجز من ان يتحملوا تكاليفها بدون ترخص او اسماح . ومن أجل ذلك كانت الامور الاجتهادية في اطار الشريعة السمحة لا عقوبة فيها ولا مؤاخذة عليها لو اخطأ المجتهد اصابة هدفه ، او التبس عليه سبيل قصده . مادام قد بذل في اجتهاده غاية وسعه ، ولم يدخر في اصابة الحق طاقته وجهده ، وصار من معالم هذا الدين (**ان من اجتهد فاصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد**) اذ ان العلم الحقيقي لوجه الصواب والخطأ من خصائص علام الغيوب . فالمسائل الاجتهادية بالنسبة الى المكلفين - امور نسبية . اذ لم يرد في خصوصها نص قاطع او بيان حاسم . فما كان صوابا ومصلحة عند قوم قد يكون مفسدة ومضرة عند آخرين . ويكفي في مجال الاجتهاد ان يتأرجح الصواب والخطأ امام انظار من نثق بعلمهم ، ونطمئن الى احكامهم من ذوي الفقاهة البينة ، والعلم الغزير ، والافق الواسع ثم يترجح بعد طول النظر واحد منهما وهذا ما دعا كثيرا

في الإسلام

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

من الفقهاء الى الخوض في المسائل الاجتهادية بقدم ثابتة وروح وثاب يواكب حركة الحياة المتجددة ، ولا يوقف عجلة الفقه الاسلامي التي يجب الا تتوقف عن دورانها واندفاعها مهما كانت الظروف والملابسات ، ولم يستجيبوا لدعاة التهيب والاحجام خوفا من اتهام شريعة الله الخالدة بالعي والقصور ، والفقر العلمي والافلاس الحركي ، فمثل هؤلاء المتهيبين يجب ان ترد اليهم آراؤهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع من نذر ان يصوم لله تعالى قائما ضاحيا تحت وطأة الشمس الحارقة ، وبين لفح الهجير الملتهب . قال مالك رضي الله عنه في هذا الصائم : امره

الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتم ما كان لله طاعة ، ونهاه عما كان لله معصية ، لان الله تعالى لم يضع تعذيب النفوس وايلامها البالغ سببا للتقرب اليه ، والتحبب له . فالشريعة بجوهرها الاصيل تشتمل على عناصر التسامح والتيسير ، وتزخر بمقومات الخفة والسهولة . بل هي ارفق باهلها من أهلها ، وارحم بأبنائها من آصرة قرباها . كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالي : (**واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم**) الحجرات / ٧ وفي

الحديث الصحيح : (عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتي تملوا) رواه الطبراني وفي حديث قيام رمضان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اما بعد فانه لم يخف علي امركم ولكني خشيت ان تفرض عليكم « صلاة الليل » فتعجزوا عنها) رواه البخاري وفي حديث انس رضي الله عنه : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين .. فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : حبل لزينب تصلي ، فاذا كسلت .. او فترت امسكت به .. فقال : حلوه .. ليصل احدكم نشاطه ، فاذا كسل او فتر قعد » رواه ابن ماجة وفي حديث معاذ رضي الله عنه حين اطال بالناس الصلاة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أفتان انت يا معاذ »؟ رواه احمد . وفي رواية البخاري : « انه قال ذلك ثلاثا لمعاذ .. وقال له : فلولا صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى ، فانه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة » وكان الشاكي للرسول صلى الله عليه وسلم من معاذ رجلا مغتربا أقبل بناضحين (اي جملين) له ، وقد جنح الليل للمغيب ، فوافق معاذا يصلي ، فترك ناضحيه وانخرط مع معاذ في الصلاة ، فقرأ معاذ سورتي البقرة والنساء ، فلما انصرف الرجل ذهب يشكو وقد روي في هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان منكم منفرين .. فأيكم صلى بالناس فليتجوز فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة) رواه الدارمي وفي مقام اخر : (نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوصال) رواه البخاري . اي الصوم الذي يستغرق فحمة الليل وسحابة النهار بامساكه المتواصل . رحمة ورأفة بأمته . بعد ان بين لهم ان هذا وان كان يليق بذاته الشريفة لانه من خصائصه التي لم يؤذن بالقدوة فيها ولا المشاركة لها .. فانه لا يلائم سائر الامة لما فيه من تحميل النفس فوق وسعها ، والهدف من هذا وامثاله بسط اسباب الراحة والسعة امام المكلفين ليجدوا في جنبات الشريعة وبين اكنافها بغيتهم من اليسر العملي ، والامن النفسي ، والحلول السهلة لمشاكل حياتهم ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » رواه احمد وفي الحديث الشريف : « اني لاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي » رواه ابن ماجه

والاطار الذي يحدد الشريعة ، ويضم بين جوانبه كل ابعادها واعماقها هو وسع الانسان وطاقته . وما خرج عن هذا الاطار من الحرج والمشقة الزائدة عن المعتاد فهو ساقط غير مطلوب ، شاذ غير مرغوب . ولذا اذنت في تفسير الفاظها ، وتأويل معانيها في ضوء الممكن من الاعمال ، والميسور من الاقوال . ففي قوله تعالى : (**ولا تموتن الا وانتم مسلمون**) ال عمران /١٠٢ لا يتوجه الطلب بالاسلام الى حال الموت

لانه غير ممكن ، وانما الى ما قبل ذلك من فسحة العمر التي تؤدي حتما الى الموت ، والنهي عن الغضب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه : (لا تغضب) رواه البخاري ليس نهيا عن الغريزة الغضبية في حد ذاتها لانها من الفطرة التي لا فكاك عنها ، وانما نهى عما يستتبعها وما يلابسها من آثار وخيمة واعمال طائشة ، وهكذا صار من شعارات الاسلام (الحرج مرفوع) .. (ولا تكليف الا بما يطاق) ، والقرآن الكريم يؤيد هذا ويزكيه ، ويدعمه بآياته وينميه . بقوله تعالى « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » **البقرة / ١٨٥ وقوله** : **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** الحج/٧٨ وروت عائشة رضي الله عنها : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ، ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان ابعد الناس منه) رواه البخاري وظهر على أفق الشريعة كنتيجة لروح اليسر التي سرت في اوصالها سريان الماء في العود الاخضر ، او سريان الضوء في الشعاع الاحمر ـ الرخص الشرعية التي نصت عليها الشريعة ، والحيل الشرعية التي تمخض عنها فقه الفقهاء ، وهي متعددة الوجوه ، متنوعة الرؤى : فهناك رخصة السلم اي بيع المجهول لان الاصل في شرعية البيع ان يلاقي عينا ، وفي السلم سقط هذا الاعتبار حتى لم يبق قيام المبيع فعلا وقت العقد في السلم مشروعا ولا عزيمة ويكفي تعيين وصفه ومقداره رحمة بالمتعاملين . ومثل ذلك الرخصة في شرب الخمر او اكل الميتة للمضطر الى ذلك ، ومن ذلك الرخصة التي انعم الله بها على امة محمد صلى الله عليه وسلم برفع ما كان واجبا على الامم السابقة وذلك : كقرض موضع النجاسة من الثوب والجلد ، واداء ربع المال زكاة ، وقتل النفس لكفارة الخطيئة ، وجعل القصاص عقوبة للقتل العمد والخطأ ، واحراق الغنائم ، وتحريم اكل العروق التي في اللحم ، وتحريم الصيد في يوم السبت ، وتحريم الطيبات بالذنوب ، واشتراط الماء وحده للطهارة من الجنابة والحدث وكون الصلوات اكثر من خمس ، واشتراط ادائها في خصوص المسجد ، وحرمة الجماع في ليالي الصيام بعد العتمة ، وحرمة الأكل فيها بعد النوم من الليل . كل هذا رفع تيسيرا ورحمة ومن ذلك اباحة الفطر في نهار رمضان للسفر والمرض ، واجراء كلمة الكفر على لسان المكره بالقتل او القطع مع اطمئنان قلبه بالاسلام بالايمان

وهكذا لا تكاد تمر بقطاع من قطاعات الفقه الاسلامي ، ولا حقل من حقول الشريعة المتنوعة الا وجدت به واحة وارفة الظل . طيبة النسيم تمثل جانب اليسر والسماحة في هذا الدين المتين الذي جعل البسملة على رأس كل عمل من اعماله ، وقول من اقواله ومحورها الاساسي الرحمة في وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم .



اذا كان الاسلام دين الوفاء ودين الاخاء .. واذا كان هو بحق دين المروءة والاخلاص .. فلأنه دين العزة الباعثة على ذلك وعلى أمثاله من فضائل الانسان . هذا الانسان الذي يستمد عزته من شريعة تحرر ارادته من التبعية لغير الله ..

حتى في اللحظة التي يطيع فيها فردا مثله . فانما يطيعه التزاما بأمر الله تعالى .. الذي أكرمه بدين يعمق فيه معنى الاباء بما شرع من آداب وسن من سنن :

بالمساواة .. من غير نظر الى نسب ولا نشب .

بالزكاة عند الفقر حقا مكتسبا .. ومعلوما .. بلا مَنٍّ ولا أذى ..

بتحريم الربا الجانح بالنفوس الى الهوان ..

بسداد الدين عن المدين حقا في عنق الدولة .. تحمي به سمعة الميت في قبره من القيل والقال .. بقدر ما تصون كرامة الورثة أيضا ! وذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم » : فمن مات وعليه دين . ولم يترك وفاء . فعلينا قضاؤه » رواه البخاري . فالمفروض في المسلم أنه عامل .. ليواجه بثمرة عمله مفاجآت المستقبل . فاذا تورط في دين .. فعليه قضاؤه .. وقاية لنفسه من التبعية لغيره .. وابقاء على مشاعر الاعتزاز بالله راسخة في كيانه .. فاذا أعجزته الحيل .. وكانت الظروف أكبر من طاقته . فان الاسلام لا يتخلى عنه .. بل يفرض له « معاشا » فوريا .. لا يصون به البطون من الجوع .. بل

يحمي الكرامة من الضياع أيضا !
ان واديا من الماس .. ومثله معه .. لأهون في تقدير المسلم من أن يبادل عليه بذرة من كرامته ..
وحتى تبقى مشاعر العزة حية متجددة .. شرع الحق تبارك وتعالى الأذان على مدار اليوم كله .. مفتتحا بهذا الشعار الخالد :

الله أكبر ..

لينتزعك به من دوامة الحياة .. وقبل أن تستبد بك أطماع الغنى والجاه .. لتعلم دائما أن الله أكبر من المال .. ومن الناس .. ومن المنصب .. فابق كريما ولا تبع كرامتك .. ولا تساوم عليها في معترك العيش !
والمسلم بهذا المعنى هو ما صوره الشاعر اقبال حين قال :

ليس يدنو الخوف منه ابدا
ليس غير الله يخشى أحدا
لحنه في القلب نارا أشعلا
من قيود الزوج والولد خلا
معرض عما سوى الله الأحد
يضع السكين في حلق الولد

والمسلم هنا كهذا الصقر المحلق في الأجواء العالية .. يرسم للآباء صورة حية :

قلت للصقر وهو في الجو عال
اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر في جناحي وعزمي
وعنان السماء .. مرعى خصيب !

ان الصقر يعلِّم الانسان معنى السمو .. ليعلو بهمته .. فوق الخنوع وجواذب الأرض ..
و .. كل داء في سقوط الهمم !

معنى العزة ومجالاتها :

يقول الدكتور محمد سعاد جلال :
« العزة هي : سلامة النفس من الضعف والمهانة . وامتناع جانبها من الاقتحام والتسلط .
وهي صفة فطرية غالبا . منشؤها المعرفة بكرامة الانسان . وترجيح وزن هذه الكرامة على المنافع المادية . اذا قوبلت بها . وصاحبها إما أن يكون في مركز القوة من السلطة والبأس . أو مركز الضعف من الفقر وانعدام العصبية .
فاذا كان في مركز القوة : تعفف عن الصغار ومحقرات الأمور . ورفض المساومة على الشرف والكرامة .. وكل القيم الشريفة التي تنعكس على مرآتها كرامة الانسان .. وبذل من دون ذلك كل سلطانه وبأسه .
وان كان في مركز الضعف : استعصم بشرف الحق . وشرف الانسان ورفض أن يستجيب لأسباب ضعفه . مهما يحاول الناس أن ينزلوه على حكمها .
واحتمل من دون ذلك كل المظالم . والآلام التي تمثل في احساسه هرما يستوى على قمته ليرى عبدة المنافع في أسفله صغارا .

وأعظم أسباب العزة : التربية

الاسلامية . والعقيدة الاسلامية التي أقنعت العربي المسلم . الذي كان يرقع ثوبه . ويخصف نعله . ويتبلع بالثمرات الجافة .. إنه بالاسلام سيد الأرض ومن عليها .

وصدق الله العظيم اذ يقول : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)** المنافقون / ٨ .

أجل لا يعلم المنافقون ذلك .. لأن باطنهم الخواء من معاني الخير أفقدهم حاسة التمييز .. وحرمهم القلب البصير بعواقب الأمور .. في الوقت الذي يحقق المسلم ذاته بعزته المشتقة من ايمانه بربه وتوكله عليه .. وما يثمره ذلك من بصيرة نافذة الى عمق الناس والاحداث .

وانهم بهذه البصيرة لقادرون على تذوق أدق وأخفى ما في الدنيا من جمال روحي .. هو أغلى من الأرض ومن عليها .. ومهما حاول المنافقون ستر خوائهم الروحي بشارات لها بريق خداع . فانهم ساقطون في الدرك الأسفل في الدنيا قبل أن يحتويهم في الآخرة .

ساقطون .. في نظر أنفسهم على الأقل .. « وكم من عزيز في رأى الناس هو في ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه . بما يجد من رهبة أو رغبة . عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه . من عدو ينافقه . أو رئيس يمالقه . أو صديق يحابيه » . .

ملامح المنهج الاسلامي :

وللاسلام منهجه الراشد في غرس فضيلة العزة في وجدان المسلم ليستقر ويستمر :

● - فقد فرض الجهاد علينا ثورة دائمة .. لا نمكن بها عدوا من التحكم في رقابنا .

● - بنى كثيرا من أحكامه على تأكيد عزة المؤمن فمنحه بذلك راحة الضمير من ألم الهوان .. بقدر ما يفرض احترامه على من حوله .. فاذا ما اشتد الحرص على العزة قويت روح المقاومة في الأمة فتأبت على الاستسلام الغاصب .. وسلم لها دينها الذي يبقى معها دافعا الى التقدم والازدهار .

ومما ذهب اليه العلماء في هذا الباب : أن المسافر يقبل هبة الماء .. ولا يتيمم .. اذ لا يمتن بمقدار الوضوء عادة .

وفي نفس الوقت لا يلزمه العلماء بقبول ثمن الماء .. وأجازوا له التيمم .. اذا كان في هبة الثمن منه .. والمنة تورث شيئا من الذلة !

وعن هذا المعنى السامي يقول اقبال :

الارض ميدان البلابل للترنم والغناء

والقبة الزرقاء ميداني الى غير انتهاء

انا سائر بين الصخور وموطني عرش الهواء

لا يبتنى الشاهين وكرا .. ان موطنه السماء !

وهو الاباء المانع حتى من الشكوى . والذي كان سمة بارزة للأباة الأعزاء يصـونون بـه أنفسهم من مواقف الاستجداء ، وفي ذلك يقول أحدهم :

لست اشكو منك فالشكوى عذاب الأبرياء
وهى قيد ترسف العزة فيه والاباء
انا لا اشكو ففي الشكوى انحناء
وانا نبض عروقي كبرياء

وحين شكا رجل لآخر فاقته قيل له : تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟ ! وعندما أعد حاتم الطائي وليمـة لأمراء العـرب .. ذهب الى البادية فرأى اعرابيـا فدعـاه الى وليمته - فرفض قائلا :
لا أحمل منّة من حاتم !!
هذه المنّة الذاهبة بعزة الانسان بما تحمله من خيلاء وتسلط .. والتي تذهب بآثار المعروف بين الناس على نحو ما روى عن أبن سيرين وقد سمع رجلا يحدث عن آخر بأنه فعل له كذا وكذا فقال :

اسكت فـلا خير في المعـروف إذا أحصى .
إن احصاء المعروف يعني احبـاط مضمونه الاجتماعي .. فهو دلالة على فـرط احسـاس المعطى بـذاتهـ وبجميله .. على صورة لا تسمح بالود والتآخي .. وسوف يكون رد الفعل في قلب الآخذ حقدا أن حرمته الأقدار من فرصة الاعطاء . بقدر ما يشكل نوعا من التسلط يميت الاباء في صدور الآخذين .. وخير من هذا أن تكف يدك .. وصدق الله العظيم اذ يقول : **(قول معروف ومغفـرة خير من صـدقة يتبعهـا أذى)** البقرة / ٢٦٣ .

ج - ردم منابع الذلة :

والاسلام - وهو شـريعة العليم الخبير - يعلم أن الذلة تأتي من منابع في كيان الانسان .. ومن ثم يحمل الانسـان على ردمهـا .. فرارا من أوضارها .

★ - الخوف من الموت
★ - الخوف على الرزق
★ - الخوف من الغير

أما الخوف من الموت فلا داعي له .. لأن الآجال بيد الله : **(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون سـاعة ولا يستقدمون)** النحل / ٦١ .

وفيما يتعلق بالرزق - فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها المقدَّر لها ..
وما على الانسان الا أن يطلبه بعزة النفس . ونقرأ في هذا المعنى قوله تعالى : **(وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)** الذاريات / ٢٢ و ٢٣ .

ولأهمية القضية يقسم سبحانه وتعالى على حقيتها .. مؤكدا أن الرزق في السماء .. يعنى في مقام أمين .. محفوظا هنـاك بعيدا عن متنـاول العابثين به .. المدعين حق التصرف فيه .. واذن .. فمن أذل نفسه من

أجل الرزق يحصل عليه فهو آثم في حق ربه .

يقول صلى الله عليه وسلم : « من تضعضع لغنى . لينال مما في يديه اسخط الله » إن لك رزقا عند مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه .. فاطلبه منه .. واذا كان سبحانه قد أجرى الخير على أيدي عباده . فاطلبه ولكن بعزة النفس .. مع العلم بأن رزقك نفســه يطلبـك أنت . ويسعى من ورائك .. مما يطامن من الحاحك في طلبه .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » رواه الطبراني . فاذا ارتفع المسلم الى هذا المستوى .. كان موحدا حقا .. توحيدا يحرره من التبعية لغيره .. وما تثمره هذه التبعية من هوان .

يقول ابن القيم :

يـا مــن الــوذ بــه فيمــا أؤملــه

ومــن أعــوذ بــه ممــا أحــاذره

لا يجبـر الناس عظمـا انت كاسـره

ولا يهيضــون عظمــا انت جـابـره

وإذن .. فليس هناك سبب للخوف من البشر العاجزين عن أن ينفعوك .. وعن أن يضروك .. الا بما كتب الله لك أو عليك ..(**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**) فاطر / ٢ .

من توجيهات النبوة :

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا المعنى : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس من عمل يقرب من الجنة إلا أمرتكم به . ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه . فلا يستبطئن أحد منكم رزقه . فإن جبريل ألقى في روعى : أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه :
فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب . فان استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فان الله لا ينال فضله بمعصيته » رواه الحاكم .
أي أن رزقك آت لا ريب فيه .. وقد يتأخر قليلا أو كثيرا واذن .. فلا مانع من طلبه .. شريطة أن تكون متجملا في هذا الطلب .. وإلا .. فإن الابتذال في السؤال .. وإن أكسبك قليلا من المال .. إلا أنه سيكلفك من كرامتك ما لا يسترد أبدا !

وخير من هذا كله أن ترضى .. فان القناعة كنز لا يفنى .. من حيث كانت لونا من الاعتزاز بالنفس يقف بك في مقام أمين عالي الجبهة .. لا تحمل مِنّة من أحد .

د ـ التحذير من المسألة :

وقبـل أن يذل السؤال أعنـاق الرجال .. فإن توجيهـات الاسلام تصونك من الزلل .. بعدأ بك عن مضاعفات المسألة .. ان الاسلام لا

يسمح بالمسألة .. إلا في أضيق الحدود .. وطبق قواعد صارمة ..

وعندما سأل حكيم بن حزام يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لفت نظره الى خطورة هذا المسلك على ايمان المسلم ..
وقد وعى حكيم رضى الله عنه الدرس ... وحرم على نفسه السؤال ..
وبلغت حساسيته حدا حمله على رفض أن يأخذ حتى حقه ورعا ! . مما دعا أبا بكر الى المناداة في الناس أن لحكيم حقا .. لكنه يأبى أن يأخذه ! .

وهذا بشر بن قبيصة بن الخازن يحكي تجربة من تجاربه في هذا المجال فيقول :
تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : « أقم حتى تأتينا الصدقة . فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة : ان المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : تحمل حمالة . فحلت له المسألة حتى يصيبها . ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . أو قال سدادا من عيش .
ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد أصابت فلان فاقة . فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش » رواه مسلم وأبو داود والنسائي « والحمالة بفتح الحاء : الدية . أو ما يتحمله للصلح بين المتخاصمين » ٧

فأنت ترى رجلا حملته همته ليقف الى جانب مسلم في محنته .. فدفع ثمن هذه الهمة ما له كله أو جله ..
فلما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم العوض . لم يخيب أمله .. لكنه عليه الصلاة والسلام يتخذها فرصة يضع فيها النقاط على الحروف فرارا بالمسلم من سوء استغلال السؤال بلا ضوابط . مما يؤدي بالانسان الى الهوان .
وقد ضيق الخناق في هذا المجال فلم يبح السؤال إلا في أضيق الحدود وبهذه الشروط الصارمة :
أن يشهد بأحقيته عدد لا يضيع الحق بينهم . ثم هم أصحاب العقول الراجحة التي لا تخطىء الصواب عادة ..
على أن يكونوا من قومه الواقفين على تطورات حياته .. وحتى اذا شهدوا بأحقيته فان ذلك لا يعطيه حق السؤال باطلاق بل انها الضرورة المقدرة بقدرها .. الى أن يقف على قدميه مرة أخرى ليستأنف نشاطه من جديد .

وما كان للاسلام أن يشجعه ليحصل على ثروة بلا تعب ثم يسمح لكرامته أن تذهب في نفس الوقت .. بينما هي أغلى الثروتين !

وضياع الكرامة نتيجة لاستمراء هذا المسلك السهل . هو ما حذر منه الحديث بشدة في قوله صلى الله عليه وسلم :
« لو يعلمون ما في المسألة ما مشى أحد

الى أحد يسأله » رواه النسائي والطبراني في الكبير .

والذين يمشون اليها مع هذا . فانما يلتقطون الجمر كما أشار الى ذلك حديث آخر .

ان المال يذهب ويجيء .. والعلم أيضا يذهب ومن السهل أن يعود .

لكن الشرف اذا ذهب .. فمن العسير أن يعود ! من أجل ذلك يوالي الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيره الشديد من المسألة يتجه به الى من يتخذها حرفة .

« لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهة مزعة لحم » رواه البخاري ومسلم والنسائي .
قال الخطابي رحمه الله :

يحتمل أن يكون المراد : « يأتي ساقطا لا قدر له . ولا جاه . أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه . لمشاكلة العقوبة في موضع الجناية من الأعضاء . لكونه أذل وجهه بالسؤال » الترغيب والترهيب .

ولما ضُرب ابن حنبل ضربا لو وقع بالفيل لصرخ ، تجمل في إباء ، وحين عُرض عليه المال قال :

هذا أشد علي من السوط !!

إن الضرب القاسي .. وإن سال به الدم .. لكنه لا ينال من الكرامة المستقرة في القلب .

أما نظرة الاشفاق .. وامتداد اليد بالاحسان ـ فدونها الموت .. ومن هنا كان الحرص عليها حرصا على الحياة ذاتها .. والاعزاء من الناس يجودون بحياتهم .. لتبقى كرامتهم ..

ولقد باع اعرابي ناقته الأثيرة لديه تحت ضغط الحاجة ولما سئل في ذلك أنشد :

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر
كرائم من رب بهن ضنين

انه يبيع رأس ماله بَيدَ أنه لا يسأل ..

وقد بلغت حساسيتهم هنا حدا كان سوط أحدهم يقع على الأرض فلا يطلب من زميله مناولته على تفاهة الطلب !!

روى مسلم عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : « ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فبسطنا أيدينا ـ وكنا حديثي عهد بالمبايعة ـ فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك ؟ قال :

« أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . وتقيموا الصلوات الخمس . وتطيعوا الله » . وأسر كلمة خفية وهي : « ولا تسألوا الناس شيئا » .

قال عبدالرحمن : فرأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه » .

وربما اشتد احتياط العلماء فيما يتعلق بسؤال السلاطين فرارا من الضرر المضاعف والمترتب على التردد على أبوابهم . لما يفرضه من استسلام لا يبقى للمروءة بقية .

قال العتابى : « اذا طلبت حاجة الى ذي سلطان . فأجمل في الطلب اليه . واياك والالحاح عليه . فان الحاحك يجرح عرضك . ويريق ماء وجهك .

فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك . ولعل الالحاح يجمع عليك إخلاق الوجه . وحرمان النجاح . فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب » .

في مجال التطبيق :

حفل التراث الاسلامي بصور نادرة في هذا الباب كان الواجدون فيها عند حسن الظن بهم :

فلم تكن القضية عندهم أن يجودوا بمال يمنع الفقر .. بل كانت بالدرجة الأولى مروءة تمنع الذلة أن تأخذ سبيلها الى قلوب الفاقدين .

في نفس الوقت ـ وبنفس القوة ـ يحفل التاريخ بألوان من التعفف المانع من السؤال .. حتى اذا فرضته الضرورة القصوى لم يكن المسلم ليتخلى عن هذه العفة أبدا اعتزازا بها وأزراء بكل شارة دنيوية لا تساوي ازاءها شيئا .

يقول المتنبي :

ومرادا لنفوس أصغر من
ان نتعادى فيه أو نتفانى

غير ان الفتى يلاقي المنايا
كالحات ولا يلاقي الهوانا

ويقول آخر :

لا تطلب الرزق في الدنيا بمنقصة
فالرزق بالذل خير منه حرمان

المال يمضي وتبقى بعده ابدا
على الفتى منه أوساخ وأدران

ما للفتى في الغنى من ذلة .. عوض
وليس في المال للأعراض اثمان

قال بعض رواة الأدب :

وقف علينا اعرابي ونحن برملة اللوء فقال : رحم الله إمرءاً لم تمجج اذناه كلامي . وقدم معاذه من سوء مقامي . فان البلاد مجدبة . والحال مسغبة . والحياء زاجر . يمنع من كلامكم . والفقر عاذر يدعو الى اخباركم . والدعاء أحد الصدقتين .

فرحم الله امرءأ أمر بمير أو دعا بخير .

فقلت :

ممن أنت يرحمك الله !

فقال : اللهم غفرا .. سوء الاكتساب يمنع من الانتساب !

وهذا الحياء المانع من السؤال الصريح الملحف . قد يحمل صاحبه أحيانا على الطلب في جنح الليل صيانة لماء وجهه الذي لا تبين ملامحه في الظلمة الساترة ! .
حدث العسجدى قال : جاء رجل الى أبي اسحاق الكسائى ليلا فقال : ما جاء بك ؟ قال : ركبني دين ، فقال الكسائى : وكم هو ؟ قال : أربعمائة درهم . فأخرج الكسائى كيسا فأعطاه فلما رجع بكى . فقال له أهله : ما يبكيك ؟ فقال : بكائي اني لم أبحث عن حاله التي ألجأته الى الذل ! أي أن واجب الكسائي لم ينته بإعطاء هذا المبلغ الكبير .. وبهذه السرعة .. بل أن واجبه الأكبر والذي فاته ، هو تقصيره في متابعة أمور حياته ، حتى لا يقف مثل هذا الموقف !

إن دوره الوقائي سابق لدوره العلاجي .. الذي جاء على ضخامته بعد فوات الأوان !

وفي اطار الحفاظ على عزة المؤمن حتى لا تورطه الحاجة في مواقف الذل .. وصيانة لماء وجهه لحظة السؤال نقرأ في حياة علي رضي الله عنه هذه القصة : وقف بين يديه أعرابي فقال : ان لى اليك حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك . فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك .
وان أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك .
فقال علي رضي الله عنه :

« خطَّ حاجتك على الارض . فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابي على الارض : اني فقير .
فقال علي : يا قنبر .. ادفع اليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدات به
فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال على :

يا قنبر : اعطه خمسين دينارا : أما الحلة فلمسألتك . وأما الدنانير فلأدبك !

ان نبل الرجل في رجائه لا يساويه

الا نبل علي في تساميه بمشاعر الرجل حين أعفاه أولا من تحريك فمه بالسؤال ..وقد كانت هذه عادته رضي الله عنه صيانة لماء الوجه . وقد روى عنه أنه كان يقول لأصحابه :

من كانت له اليَّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة ..

وتظهر أبعاد النبل العلوى في تصنيفه للهبات : حيث كانت اجابة الحاجة هدية عينية لا تجرح كرامة الرجل . ولم تكن هي الخمسين دينارا .. وهي صورة مالية ألبق أن تكون جائزة على موهبته الشعرية !!

وقد أخذ بنية بهذا الأدب العالي المقدر لانسانية الانسان : قيل للحسين رضي الله عنه : أن فلانا مدين لرجل قاس • يغلظ له القول . ويسيء معاملته من أجل الدين . فلو رأيت أن تريحه منه ؟ !

وبعد قليل . أقبل المدين . وقبل أن يطلب من الحسين شيئا ، أمر الحسين غلامه باحضار المبلغ الذي يسد الدين .

فقيل للحسين :

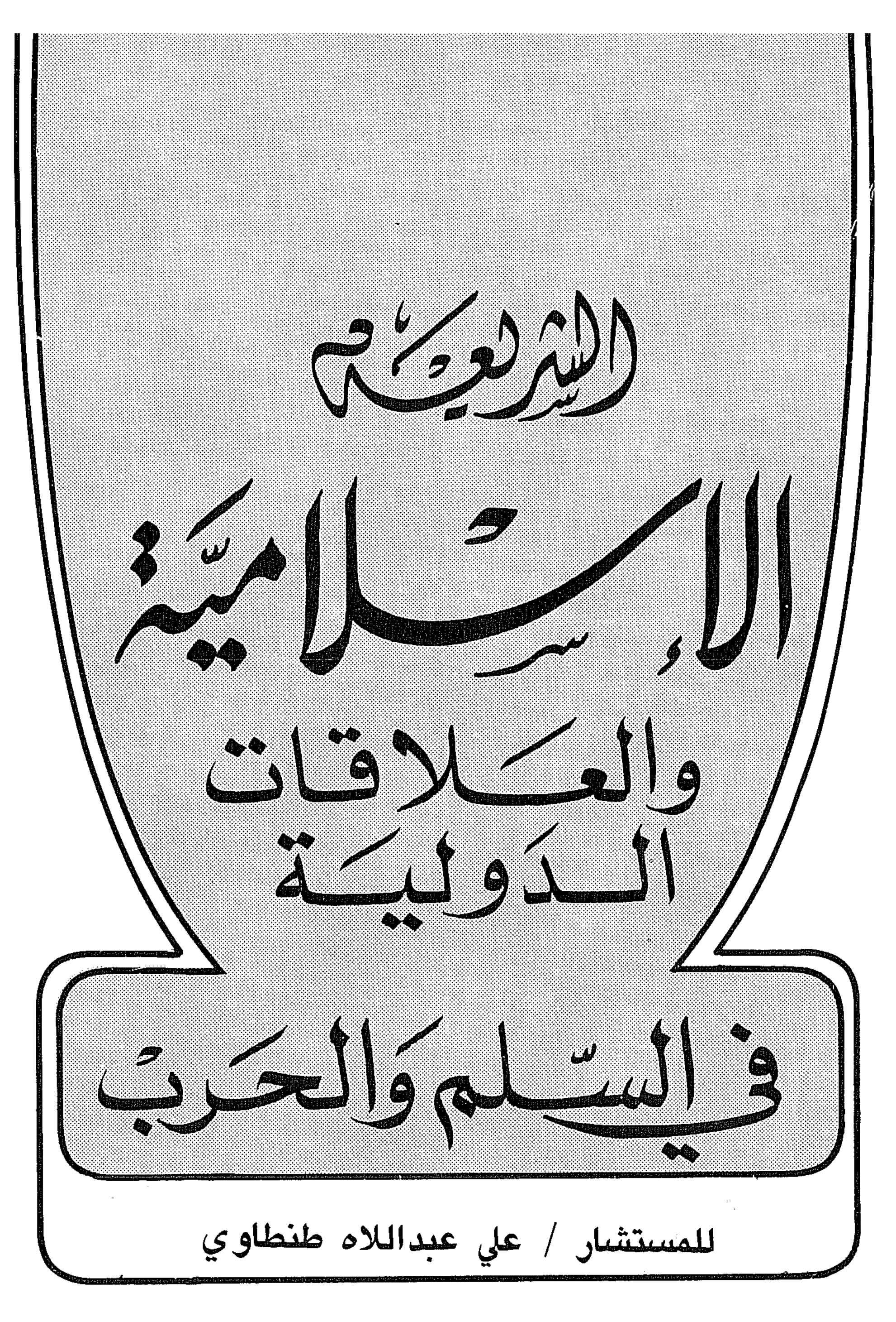
هل انتظرت حتى يسألك ؟ فلعله قد قضاه من غيرك .
فقال الامام الحسين :
لو انتظرت حتى يسألني .. لكان قد بذل لي من ماء وجهه ما لا يكفي فيه مال !!

ان شرخا في بناء الكرامة لا يجبر بمال ! ولقد كان رِفْقُ الحسين يرجو راحة المدين من الدائن بدفع هذا المال .. ولم يقف الامام الحسين عند هذا السطح .. بل أنه أراح المدين من عذاب الضمير .. ووقاه من شر مستطير حين أنقذ كرامته من براثن غريم ثقيل . وحماه قبل ذلك من ذل السؤال .
وهذه الهمة العالية في تقدير الكرامة الانسانية وقفت ببعض الأعلام موقف التضحية حيث أخذوا نفوسهم بعزائم الامور وقضاء الحاجات الضخمة .. وما رضوا لها أن تشغل بقضاء حوائج تافهة لا تليق بمكانتهم :
جاء في صيد الخاطر لابن الجوزي :
قيل لاحد فحول الرجال :

لنا اليك حويجة « تصغير حاجة »
أي جئناك لتقضيها لنا .. فأبى وقال :: اطلبوا لها رجيلا !!

وبعد :

فلك أن « تعجب من أمة دينها العزة .. ثم تهمله لتصير الى ما صار اليه المسلمون اليوم »
وحاول أن توقظ الرقود قائلا :
اذا لم يكن الايمان مصدر العزَّة .. فماذا يكون ؟ !
وإذا لم يكن المسلم به عزيزا .. فمن يكون ؟ ! .



تعريف :

إن علاقات الدول بعضها ببعض تحكم في النظم الوضعية الحديثة بالقانون الدولي العام والقانون الدولي هو مجموعة القواعد القانونية التي

تحكم علاقة الدول بعضها ببعض ، سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب ، وتنظم علاقة الدول من حيث التمثيل الخارجي والمؤتمرات والمعاهدات ، وتنظم طرق فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية كالمفاوضات والتحكيم ، كما تنظم علاقة الدول المتحاربة مبينة كيفية إعلان الحرب ووسائلها المشروعة .

أحكام الشريعة الاسلامية في هذا المجال :

نظم الاسلام علاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم الأخرى أي الأجنبية عنها ، وقد وردت آيات القرآن الكريم منظمة للمبادىء العامة لهذه القواعد في السلم وفي الحرب ، ونظمت أيضا أحكام المعاهدات ومدى الالتزام بها .

وقد ترك القرآن الكريم تفاصيل هذه المبادىء لاجتهاد العقل البشري مسايرة لظروف الزمان والمكان . هذا وقد أفاض فقهاء الشريعة في كتب السير ، وكتب الجهاد ، وكتب التفسير ، فيما أتى به الاسلام من قواعد تحكم العلاقات بين الدول الاسلامية وغيرها من الدول .

الاسلام دين سلم وحسن الجوار :

زعم بعض المستشرقين أن الاسلام يقوم على القهر والغلبة ، وأن الحرب هي أصل الصلة بين المسلمين وغيرهم ، والسلم لا يكون إلا موقوتا لضرورة قائمة كأن يقوم بالمسلمين ضعف فيتريثوا حتى تجتمع لهم أسباب القوة والغلبة ، فيعاودون الكرة ، أو تكون للمسلمين مصلحة في وقت الحرب لفترة ما [١] .

وغني عن البيان أن هذا القول يجافي الحقيقة ، والواقع ، ذلك أن الدعوة الاسلامية لم تقم على الحديد والنار وإنما سلكت طريقها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقد حرم الاسلام اللجوء إلى القوة لنشر الدين فيقول الحق تبارك وتعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) النحل / ١٢٥ ، ويقول جل شأنه (**لا إكراه في الدين**) البقرة / ٢٥٦ ، ويقول (**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) يونس / ٩٩ ، ويقول عز من قائل (**إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم**) التكوير ٢٧ و ٢٨ ، ويقول جلا وعلا (فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) الغاشية / ٢١ و ٢٢ .

وقد سمحت الشريعة الاسلامية للمسلمين بالتعاون مع غيرهم ما لم يحاربوا المسلمين أو يتعرضوا لهم بأذى (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم**) الممتحنة / ٨ .والاسلام لا يسمح للمسلمين أن يتدخلوا في شؤون غيرهم من الدول ، فهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في السيادة على أراضيها ، ما لم تعتد على المسلمين أو على من يعتنق

الاسلام فيها ، فان تدخل الدولة الاسلامية عندئذ يكون لمنع الفتنة في الدين[٢] .

والسلم في شريعة الاسلام هو أصل العلاقات الدولية ، فيقول عز وجل (**فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ ، ويقول جل شأنه (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**) الأنفال / ٦١ .

ويقول أيضا وهو خير القائلين (**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة / ٢٠٨ .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قد حضت على السلم ودعت اليه إلا أنها أمرت المسلمين بعدم استجدائه من أعدائهم(**فلا تهنوا و تدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**) محمد / ٣٥ ويقول سبحانه : (**هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**) آل عمران / ١١٩ - ١٢٠ .

واذا ثبت للمسلمين أن السلم مع أعدائهم زيف وخداع يجب حينئذ المسارعة بانهائه عملا بقوله عز وجل (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون**) الأنفال / ٥٨ ، ٥٩ .

أسباب الحرب في الاسلام وأحكامها :

لاشك أن غاية الاسلام باعتباره آخر الشرائع والأديان السماوية هو أن يدخل الناس فيه تحريرا لهم من الشرك والضلال ، ووصولا بهم الى نور الوحدانية وطريق الحق والكمال ، (**آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**) إبراهيم / ١ ، ويقول (**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد**) ابراهيم / ٥٢ .

ومن هنا جاء التكليف من الله عز وجل للمسلمين بدعوة الناس إلى هذا الدين الحنيف ... دعوة لا إكراه فيها ولا تهديد (**إنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**) آل عمران / ٢٠ ، (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية / ٢١ ، ٢٢ ، ولكن إذا حيل بين المسلمين وبين تبليغ دعوتهم وكانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة دون سواها لكي يتم التبليغ فإن الحرب هنا تضحى مشروعة مادامت قد أصبحت هي الوسيلة دون سواها لازالة العوائق من طريق نشر الدعوة .

وهذه الحرب لا تخل ولا توهن من حرية المخاطب بالدعوة فله مطلق الخيار في اعتناق الاسلام ، أو عدم اعتناقه (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف / ٢٩ .

كما أن قتال المسلمين دفاعا عن عقيدتهم اذا ما تعرضوا للفتنة فيها هو أمر واجب ومشروع (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) البقرة / ١٩٣ .

والقتال هنا يعد جهادا في سبيل الله (**أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) التوبة / ٤١ .

ويقول عز وجل ايضا (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**) الفرقان / ٥٢ ، ويقول جل من قائل (**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) الصف / ١٠ ، ١١ .

ويقول جل وعلا (**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة / ١١١ .

واذا كان السلم ـ كما سبق أن بينا ـ هو أصل العلاقات الدولية في الاسلام فان ذلك مشروط بعدم وقوع أي اعتداء على الديار الاسلامية أو فتنة المسلمين في دينهم ، والا فان الحرب هنا تصبح وجوبية دفاعا عن النفس والعقيدة والمال والعرض ، وذلك لقوله عز وجل (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

ونقض العهد من الأعداء أمر مسوغ للقتال (**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة / ١٢ .

والحرب مشروعة في الاسلام اذا قصد منها إغاثة المسلمين المظلومين ما لم يكن هناك عهد يحول دون ذلك (**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**) الانفال / ٧٢ .

ولا يشترط لشرعية الحرب وقوع اعتداء فعلي على المسلمين ، بل قد تكون الحماية من الاعتداء مبررة للحرب ما دام هذا الاعتداء متوقعا وقام الدليل عليه ، فلابد عندئذ من دفع الاعتداء قبل أن يستحيل الدفع ، هذا وقد يتعين الهجوم سبيلا للدفاع[٣] .

وغني عن البيان أن حرب الابادة التي شنتها وتشنها إسرائيل هذه الأيام على المسلمين في لبنان إنما هي اعتداء على النفس والدين والعرض

والمال ، وتوجب على المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا من سباتهم العميق ويقفوا وقفة رجل واحد ، ويسارعوا باتخاذ الاجراءات الحربية اللازمة لوقف هذا العدوان وإزالة آثاره ، وذلك إعمالا لقول الحق تبارك وتعالى (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

وجدير بالذكر أيضا أن الاضطهادات التي تلقاها الأقليات الاسلامية في الهند والحبشة والفلبين وبورما وتايلاند وكمبوديا ، وغيرها من البلاد غير الاسلامية ، توجب على المسلمين حكاما ومحكومين مساعدة هذه الأقليات الاسلامية ونصرتها عملا بقوله عز وجل (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء / ٧٥ .

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) ولقوله أيضا (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

ولا يفوت قادة المسلمين أن غزوة مؤتة هي أول معارك المسلمين في الشام إنما كانت بسبب اعتداء نصارى الشام على من أسلم منهم مما أدى الى قتل بعضهم ، فجهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا لنصرتهم أوكل قيادته الى زيد بن حارثة ، ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبدالله بن رواحة ، فلما استشهد الثلاثة انتدب المسلمون خالد بن الوليد للقيادة .

واذا وجبت الحرب كان إعلانها والانذار بها وتوضيح أسبابها أمرا واجبا على المسلمين (**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين**) الأنفال / ٥٨ .

وتجدر الاشارة في هذا المقام إلى أن الاسلام قد سبق بهذا المبدأ جميع الأديان والشرائع السماوية والقوانين الوضعية الحديثة في هذا الشأن .

واذا نشبت الحرب فلا نهب ولا تخريب ولا تدمير طبقا لتعاليم الاسلام ، ولا تعرض بأذى للشيوخ والنساء والأطفال والضعاف عموما ، ويبين ذلك جليا من توصية الرسول صلى الله عليه وسلم لقائد جيشه (تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ووبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم ...) .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه العام ، وإنما يضع كوابح وموانع إذا نشبت المعركة ، تحول بين جيش المسلمين وحب الانتقام من العدو أو إذلاله ، فيقول لقائد جيشه ، (انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وعلى هذا المبدأ الرحيم سار المسلمون من بعده عليه الصلاة والسلام ، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قائد جيشه قائلا « إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا ولا تحرقها ، ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول عند عقد اللواء لأمير الجند « بسم الله » على عون الله أمضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر ، قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان ، وفي شن الغارات نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا ، أبشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

كما حض الاسلام على حقن دماء أفراد العدو الذين يريدون الخروج من صفوف الحرب ، وأجاز لكل مسلم أن يعطي الأمان ويمنحه ، واذا صدر الأمان من أحد المسلمين حقن دم المحارب ، ولا يعد مستسلما ولا أسيرا وإنما يعد من أهل الذمة ، لقوله صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

ولا يستطيع الحاكم المسلم أو قائد الجيش أن يلغي عقد الأمان الذي أعطاه أحد تابعيه ، ويروى في هذا الشأن أن أبا عبيدة بن مسعود الثقفي - أمير الجيوش في العراق - حينما هزم جيش فارس في موقعة النمارق أتوا إليه بأحد قادة فارس أسيرا ، فأشار لبعض المسلمين بقتله ، ولكنه أخبر أن هذا الأسير أخذ الأمان بالخدعة ممن أخذه أسيرا ، فقال قائد الجيش إني أخاف الله أن أقتله لأن أحد المسلمين قد أعطى له أمانا .

ويتعين على المسلم الوفاء بما أعطى من عهد أمان حتى لو كان ذلك عن طريق الاشارة ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار إلى السماء بأصابعه لمشرك ثم نزل إليه على ذلك فقتله لقتلته به »[٤] .

وقد نظمت الشريعة علاقة المسلمين برعايا الدولة المحاربة المقيمين في الديار الاسلامية ، فأمرت بحمايتهم وصيانة أرواحهم وأموالهم .

وقد أجاز جمهور الفقهاء الاتجار مع رعايا الدولة المحاربة فيما عدا أدوات الحرب والحديد وخالفهم في ذلك الشافعي ، واستند الجمهور في ذلك إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى أبا سفيان ثمر عجوة وبعث إليه بخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين تولاهم القحط[٥] .

الاسلام وحق تقرير المصير :

وبعد الانتصار في الحرب منعت الشريعة التحكم في الدول المنهزمة ،

أو انتزاع ممتلكاتها ، فها هو ثاني الخلفاء الراشدين يبقي الأرض الزراعية في أيدي أصحابها ويفرض عليهم ضريبة الخراج .

كما سمحت الشريعة للشعوب بحق تقرير مصيرها ، فقواد المسلمين كانوا يخيرون الدول قبل القتال بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فان اختاروا العهد كان الوفاء واجبا ، وإن اختاروا القتال كان بسبب ما اختاروا .

وتقرير المصير كان يثبت ايضا في ميدان القتال وحتى بعد النصر أيضا ، ويروى في هذا الشأن أن قتيبة ابن مسلم الباهلي فتح بعض أقاليم سمرقند من غير أن يخير أهله بين الاسلام أو العهد أو القتال ، فشكا أهل هذا الاقليم إلى عمر بن العزيز رضي الله عنه أن قتيبة قاتلهم قبل أن يخيرهم هذا التخيير ليقرروا مصيرهم ، فأرسل الخليفة إلى القاضي ليستمع إلى هذه الشكوى ويحققها ، فتبين للقاضي صحتها ، فأصدر أمره إلى جند المسلمين بأن يخروجوا من البلد الذي فتحوه ويعودوا إلى ثكناتهم ، ثم خير أهل هذا الاقليم ليقرروا مصيرهم فاختاروا العهد ، ومنهم من اختار الاسلام الذي سمح بهذا التخيير بعد الفتح والانتصار(٦) .

حكم الأسرى في الاسلام وحكم الرسل :

أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى ، والحرص على أرواحهم والمحافظة على كرامتهم ، وجعل من إطعامهم قربة لله « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » الانسان / ٨ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيرا » ويقول عليه الصلاة والسلام « ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب » .

ولقد حرم الاسلام تعذيب الأسرى حتى ولو كان تعذيبا نفسيا ، فقد روي أن بلالا رضي الله عنه وقعت في يده امرأتان يهوديتان أثناء احدى المعارك ، فأسرهما واقتادهما للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأثناء سيرهما مرتا على قتيلين من قومهما ، فأجهشت احداهما بالبكاء ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بلالا قائلا « هل نزعت منك الرحمة يا بلال أن تمر بامرأتين على قتلاهما » .

وقد ترك الاسلام للحاكم أمر التصرف في هؤلاء الأسرى ، بما يتفق ومصلحة المسلمين ، فله حق اطلاق سراحهم بفدية مالية ، أو مبادلتهم بأسرى المسلمين (**فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد / ٤ ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الجرحى في الحرب أو تشويه جثث القتلى وإنما أمر بدفنهم ونهى عن إلقائها للوحوش أو الطيور .

هذه هي أحكام الاسلام السمحة

حتى في ميدان القتال ، وقد التزم بها المسلمون على مر العصور ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نقض الروم عهدهم مع المسلمين ، وفي يد المسلمين رهائن منهم فامتنع المسلمون عن قتل رهائن الروم ، وأطلقوا سراحهم ، وقالوا « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » .

وفيما يسمى بالعصور الوسطى عندما أسر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي عددا ضخما من أفراد الجيوش الصليبية ولم يجد طعاما يكفيهم كان عليه أن يختار بين موتهم جوعا أو إطلاق سراحهم ، فأوحت إليه فضيلة الاسلام بإطلاق سراحهم ، غير أنهم كونوا من بينهم - بعد إطلاق سراحهم - جيشا يقاتله ، فقتلهم في الميدان محاربين وأبت عليه أحكام دينه أن يقتلهم أسرى جائعين ، وكان هذا في الوقت الذي قتل فيه ريتشارد قائد الانجليز في الحروب الصليبية ثلاثة آلاف أسير مسلم سلموا أنفسهم إليه بعد أن أعطاهم عهدا يحقن دماءهم ، مما دفع جوستاف لوبون إلى القول « بأن العالم لم يعرف فاتحا أرحم من المسلمين »[٧] .

ويقول هيشيل دي ثوب أستاذ القانون الدولي بلاهاي « إن إعلان الحرب مبدأ إسلامي ، والرحمة بالمحاربين وتجنيب غير المحاربين من النساء والأطفال والزراع والشيوخ ويلات الحروب وعدم تخريب أملاك العدو ، كل هذه قواعد إسلامية أثرت في القانون الدولي[٨] .

وكما أمر الاسلام بحسن معاملة الأسرى أمر بحسن معاملة الرسل ، وتأمينهم فلا خوف على أنفسهم ولا أموالهم والرسل هم الذين يسمون في لغة العصر الحديث بالدبلوماسيين .

والرسول عليه الصلاة والسلام هو أول من استعان بالرسل في الاسلام ، إذ بعث بهم إلى مصر وفارس وبيزنطة والحبشة وغيرها . وكتب السير تروي لنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشجاع بن وهب الأسدي إلى شمر ابن الحارث ملك الغساسنة بالشام ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى بعمان ودحية الكلبي إلى قيصر الروم ، وعمرو بن أمية إلى النجاشي بالحبشة ، وعبدالله ابن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أمير أهل البحرين .. وقد زود الرسول صلوات الله وسلامه عليه هؤلاء الرسل بكتب تؤيد صحة وفادتهم منه ، كما توضح الغرض منها .

وكان رسل المسلمين يحترمون عادات وتقاليد الدول التي يوفدون لها ، ما لم تتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية كالسجود للملوك مثلا .

ومن جهة أخرى عرف الاسلام منذ بداية إشراقه نظام استقبال السفراء - الرسل - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبلهم في مسجده بالمدينة المنورة ، وكان وأصحابه يلبسون أحسن الثياب عند استقبالهم

الوفود والرسل[٩] .

وتأمين الرسل ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله عز وجل **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)** التوبة / ٦ .

وأما السنة فيروى أن مسيلمة الكذاب أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم رسولين قال لهما النبي أتشهدان أني رسول الله ؟ فقالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال النبي عليه الصلاة والسلام : آمنت بالله ، لو كنت قاتلا رسلا لقتلتكما .

المعاهدات في الاسلام :

حض الاسلام المسلمين على احترام معاهداتهم ومواثيقهم ، ونهى عن الغش في إبرام المعاهدات أو نقضها حتى ولو كان في نقضها نصر للمسلمين فيقول الله عز وجل **(والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)** الأنفال / ٧٢ ، ويقول **(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)** التوبة / ٤ .

وقد روى أن حذيفة بن اليمان خرج وابو حسيل يريدان الاشتراك في معركة بدر ، فأخذتهم قريش وقالت لهما تريدان محمدا ؟ فقالا : لا نريد سوى المدينة ، فأخذوا عليهما عهدا بألا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتوجها للنبي وأخبراه بما حدث فقال عليه الصلاة والسلام « انصرفا نفي بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

وحدث أيضا أن اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش في صلح الحديبية أن من يخرج إليه مسلما يرده إليهم ومن يخرج من عند المسلمين مرتدا لا يردوه للمسلمين ، وقد روي أن أبا جندل سهيل بن عمر توجه للنبي صلى الله عليه وسلم مسلما فرده عليه الصلاة والسلام فصار أبو جندل ينادي : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ فقال له النبي : اصبر يا أبا جندل واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا وقد كان حتى طلبت قريش النزول عن هذا الشرط ..

ولم تكتف شريعة الاسلام باحترام العهود والمعاهدات ، وإنما أمرت بالوفاء بها ، **(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)** النحل / ٩١ ، ويقول عز وجل **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)** الاسراء / ٣٤ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خياركم الموفون بعهودهم) ويقول (أنا أحق من وفى بعهده) .

والمعاهدة لا تنقض من جانب المسلمين إلا إذا نقضت من الجانب الآخر **(إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم**

فاستقيموا لهم) التوبة / ٧ .

واذا كانت المعاهدة غير محددة المدة فإن جمهور الفقهاء قال بأنه إذا كانت أسباب إبرامها قائمة ، فالمعاهدة قائمة ، فإن تغيرت الأسباب فللمسلمين نقضها ، ولكنهم لم يبيحوا القتال إلا عند الاعتداء أو مظنته ، لأن النص القرآني يوجب استقامة المسلمين لمن عاهدوهم ماداموا مستقيمين لهم (**فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)** .

وهذا خلاف ما كان عليه الحال في الدول الأوربية التي ادعى فيها البابوات لأنفسهم حق إبرام المعاهدات ونقضها ، ولقد حرم اوربان كل الأحلاف والمعاهدات التي تعقد مع أمراء ملحدين أو منفصلين عن الكنيسة الرومانية واعتبر ما عقد منها باطلا ، وأعفى الملوك والأمراء الموالين للكنيسة الكاثوليكية من هذه العهود والأحلاف ، وجعل الحرص على تنفيذها محرما ، كما صرح بولس الثالث بأن جميع المعاهدات التي تعقد مع الملحدين في المستقبل باطلة مهما كانت اليمين التي تؤيدها ، وحتى في عهد الاصلاح الديني الذي دعا اليه مارتن لوثر ، أخل البابا جول الثاني فردينان الكاثوليكي من معاهدته مع لويس الثاني عشر (١٠) .

وجدير بالذكر الاشارة الى أن المعاهدات التي أمر الاسلام باحترامها والوفاء بها هي تلك المعاهدات التي تتوافر شرائطها الشرعية ، والتي تقوم على اتفاق حربين طرفيها ، ويكون الرضا فيها تاما ، فلا إكراه ولا تهديد ، ولا مكان لسياسة الأمر الواقع ، أو الطرف الضعيف أو المهزوم ، التي تسود الأنظمة الوضعية الحديثة وإذا انعدم الرضا بطلت المعاهدة لانعدام شرط جوهري تقتضيه طبيعة المعاهدة باعتبارها عقدا .

كما يجب أن لا تخالف المعاهدة حكما من أحكام الاسلام ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » وعلى ذلك فأي معاهدة تنص على تقييد حق الدولة الاسلامية في التسليح أو في حجم قواتها العسكرية ، إنما هي معاهدة باطلة لمخالفته قول الله عز وجل (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** الأنفال / ٦٠ .

كما يشترط وضوح المعاهدة وعدم غموض نصوصها لأنه قد يتخذ الغموض سبيلا لاخفاء العيوب الواردة بالمعاهدة وهذا أمر منهي عنه ، يقول الله عز وجل (**ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله)** النحل / ٩٤ .

الحياد في الاسلام :

عالجت الشريعة الاسلامية حالة الحياد في الحرب ، ونصت على وجوب منحه لطالبيه من غير المسلمين ، فلو أن دولا غير إسلامية

نشبت بينها الحرب وطلبت إحداها من المسلمين الحياد وجب على المسلمين إجابتهم إلى مطلبهم **(إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)** النساء / ٩٠ .

أما إذا كانت إحدى الدول الاسلامية طرفا من أطراف الحرب فلا حياد ، وإنما العون والنصر أخذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله عليه السلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله » .

والحياد لا يكون أيضا إذا كانت إحدى الدول المحاربة حليفة للمسلمين بمقتضى حلف يوجب المساعدة في الحرب فعندئذ يجب على المسلمين نصرتهم ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين نقضت قريش العهد وأغارت على خزاعة الذين كانوا قد تحالفوا مع المسلمين .

وإذا كانت الحرب بين دولتين مسلمتين ، فإنه يجب على باقي الدول الاسلامية التدخل للصلح ، وفي حالة تعذره فعليهم نصرة الدولة المعتدى عليها **(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات / ٩ .**

ووفقا لنص الآية الكريمه تجب مراعاة العدل المطلق بين الدولتين ، فلا حيف على الدولة الباغية بسبب بدئها القتال أو التسبب في إزهاق أرواح المسلمين وإتلاف أموالهم ، مادامت قد دفعت تعويضا عادلا للدولة التي بغت عليها .

وإن القارىء لميثاق الأمم المتحدة لا يجد ثمة صعوبة في معرفة أن الآية الكريمة سالفة الذكر ، إنما كانت هدى ونبراسا ومصدرا أساسيا لهذا الميثاق ، الذي تفتق عنه العقل البشري في القرن العشرين ..

١ - الشرع الدولي في الاسلام ص ١١٣ للدكتور نجيب ارمنازي .

٢ - العلاقات الدولية في الاسلام للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .

٣ - فضيلة الشيخ المرحوم ابو زهرة ص ٥٠ .

٤ - حياة الصحابة محمد يوسف الكندهلوي ص ١٠٨ .

٥ - الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام للمستشار علي علي منصور والشيخ المرحوم محمد ابو زهرة .

٦ - الشيخ محمد ابو زهرة .. المرجع السابق .

٧ - كتاب حضارة العرب ص ٤٠٧ ترجمة عادل زعيتر .

٨ - كتاب القانون الدولي العام ج ١ ص ٢٩١ .

٩ - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ .

١٠ - الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام ص ٢٨٦ .



المارقون من الدين

○ كثير من الناس يتحدثون في الدين الاسلامي .. في حكمة التشريع .. وفي الحلال والحرام .. والممنوع والمباح .. في العبادات .. والمعاملات .. في الاخلاق والآداب والسلوك .. وفي نظام الاسلام الاقتصادي ..

○ يجيدون فن الحديث ، وطرق العرض ، وشد انتباه المستمعين لهم .. حتى اذا ما نالوا الشهرة .. وذاع صيتهم ، وتداول الناس حديثهم .. دسوا السم في العسل .. وشطح بهم الخيال فسلكوا دروبا ملتوية .. توافق هواهم .. وظنوا أن ما ذهبوا اليه هو الحق .. وما عداه هو الباطل .. ونحجم عن الافصاح عن أسماء تمثل هذا الاتجاه ..

○ وآخرون يركبون الموجة .. ويعزفون على اهواء الناس .. أو بعض الناس .. بزخرف من القول .. ويحملون ابواقهم ليكون حديثهم في الماركسية زمنا .. وعن الرأسمالية حينا .. وعن القومية أحيانا .. وعن الدين لا مانع .. يرتدون مسوح الرهبان .. ويأمون المساجد .. ويتكلمون في جموع العـابـديـن ـ لا يتجاوز حديثهم حناجرهم ، فهم المارقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ..هكذا عرفنا بهم رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

○ لم يعد غريبا ان نسمع الطبيب يفسر ايات الله .. والمهندس يقول عن الحديث الصحيح وغير الصحيح ، ورجل التجارة يفتي في الحلال والحرام ، وعالم اللغة الأجنبية يتكلم في الاستحسان والقياس ..
والمرأة المتبرجة تقول عن الحجاب .. وهل هو من الشرع ؟ او من تقاليد وعادات السابقين التي عفا عليها الزمن ؟! وصاحب الفنون يقص علينا ما أحسه من اسرار القرآن وإعجازه ..

هكذا .. صار الكل علماء في الدين .. يفسرون ، ويقعِّدون .. ويستنبطون ، ويفتون الناس في الحلال والحرام .. أما إن يزاول مهنة الطب غير الطبيب ، فذلك جناية يعاقب عليها القانون ، حتى ولو اجاد واصاب .. وهكذا كل مهنة لها نقابة ، وعضوية ، وشروط لابد من توافرها في كل متخصص في فرع من فروع المعرفة .. فليس بمهندس من لا يحمل شهادة الهندسة .. وليس بعالم في اللغة من لا يحصل على ليسانس اللغة ..

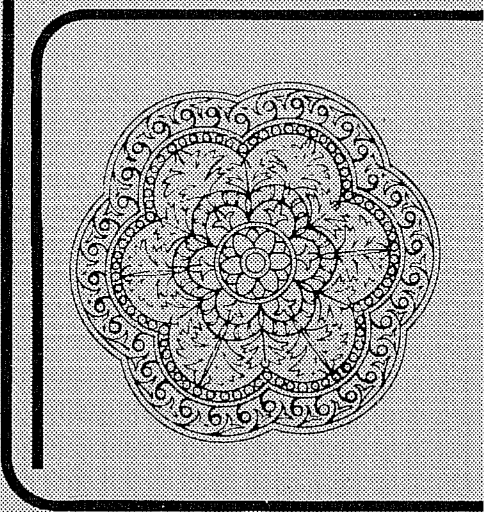
ونحن اذن في عصر التخصصات .. فلم لا نلتزم ذلك في العلم بقضايا الدين وأحكامه ؟؟ فلا يتكلم في الدين ويتصدر الافتاء للناس الا من توافرت فيه شروط الفقيه .. كما حددها العلماء .. أم أن الدين هو « الحيطة الواطية » ؟! .. ام لأنــه لا تقف وراء الدين حكومة واحدة تدافع عنه ؟! ومهما يكن من أمر فالله حافظ كتابه ، وناصر دينه ، ومؤيد جنده ، ومدافع عن المؤمنين ، ولو كره الفاسقون والكافرون والظالمون ..

آيات محكمات في الخلق

ترددت كثيرا في كتابة هذه الدراسة علـى صفحـات مجلـة « الـوعي الاسلامي ».. صحيح انها دراسة جديدة من نوعها ، لكن سبب ترددي يرجع اساسا الى طبيعة الكائن الحي الذي سأقدمه ، لأنه كائن بسيط ، ولأنه يعيش في بيئة تعافها النفوس ، وربما يعتبره البعض حقيرا ، ولا اعتبره كذلك ، اذ احيانا ما تنشأ الافكار العظيمة في الاوساط او البيئات الحقيرة ، ورب كائن « حقير » في عرف الناس ، يحمل من المؤهلات ما يجذب انتباه العلماء ، فيدرسونـه دراسة وافية ، وكأنما لسان حـالهم يقول « يضع سره في اضعف خلقه »ـ على حسب التعبير العامي الشائع !

لكن الذي شجعني على تقديم هذه الدراسة هنا ، هو توضيح ما انطوى عليه الخلق من صور الابداع ، وروعة الاداء ، واصالة الافكـار ، وبحيث يبدو لنا ان الافكار التي نظن انها لنا وحدنا ، او اننا قد ابتدعناها بعقولنا ، انما هو ظن خاطىء ، اذ لو بحثنا في اسرار الكائنات ، لوجدنا انها قد سبقتنـا بما نسبنـاه الى انفسنا ، واعتبرناه من بنات افكارنا .. لكن « لا جديد تحت الشمس »ـ كما يقولون .

ثم ان الذي شجعني على ذلك ايضا ، ان آيات الخلق في القرآن الكريم تشير الينا ان نبحث ونتدبر في اسـرار الارض والسمـاوات ، وفي بدايات المخلوقات ، لأنها ايضا بمثابة آيات ناطقة بجلال : (**الذي خلق فسـوى . والـذي قـدر فهـدى**) الاعلى/ ٢و٣ . حتى ولو كان ذلك في بيئة تعافها النفوس ، ثم ان هذا البحث والتأمل سوف يوضح لنا معنى الآيات التي تعرضت لذلك : (**الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه / ٥٠ : (**صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/ ٨٨ : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**)



للدكتور/عبد المحسن صالح

العنكبوت/٢٠ : **(وفي الأرض آيات للموقنين)** الذاريات/٢٠ . الى اخر هذه الايات التي توضح ان كل شيء ـ صغر شأنه او كبر ـ قد جاء الى الوجود ، وهو يحمل في طياته نظامه المتقن الذي يجعله ميسرا لما جاء له .

قذائف موجهة

فالكائن الحي الذي تعلمنا منه ما لم نكن نعلم ، يعيش على روث البهائم .. شيء تعافه النفوس ـ لا شك في ذلك ، والكائن نفسه يحتل القاع في سلم المخلوقات ، او هو من المخلوقات الدنيئة او البدائية جدا ، اذ يُنطوي تحت مجموعة الكائنات المعروفة باسم الفطريات او العفن ، والعفن لا نرتاح له كثيرا ، فكأنما هذا المخلوق قد جمع السيئتين : احداهما تتمثل في بيئته ، والاخرى في نسبه ، لكن لا يجب علينا ان نتأفف او نسخر ، فرب مخلوقات نسخر منها ، لكنها تقدم لنا درسا مهما .. وكأنما الآية الكريمة : **(بل عجبت ويسخرون)** الصافات/١٢ تنطبق هنا على مقتضى الحال !

وسر العجب هنا ان هذا الكائن الضعيف جدا ، والبدائي جدا ، قد امتلك فكرة القذائف الموجهة ، وعرف مبادىء العدسات والتوجيه والزوايا وغير ذلك من مبادىء هندسية ، ظهرت معه قبل ان يظهر الانسان نفسه على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، وبها سار كل هذا العمر الطويل ، لأن الفكرة ذاتها اصيلة ، والمبادىء قويمة ، وبدون افكار رشيدة ومبادىء قويمة ، فلا تنتظر خيرا .. لا على مستوى بشر ، ولا مستوى عفن !

لا زلت اذكر انني درست في السنة النهائية بكلية العلوم هذا الفطر العجيب دراسة عابرة ، لأنه لا يضر ولا ينفع ، ولا فائدة لنا فيه ولا مأرب ، ومع ذلك فقد درسناه في صفحة وبضع صفحة ، لأن دراسة علم تقسيم الفطريات كان يستلزم ذلك ، ولم نعرف وقتها بالتفصيل ما ينطوي عليه هذا الفطر من اسرار ، الى ان وقع بين يدي مجلد من المجلدات الكثيرة التي يطلق عليها « بحوث في الفطريات » .. والفطريات وحدها تضم اكثر من مائة الف نوع ، لكن المجلد السادس من هذه المجموعة من المجلدات قد افسح النصف الاول من صفحاته تقريبا

لكشف اسرار حياة هذا الفطر الغريب ، ولقد قضى معه البروفيسور رينالد بولر - من كندا - سنوات عديدة ، وتوصل الى حقائق مثيرة ، وكشف لنا من الاسرار ، ما يدعو للتأمل والاكبار ، حتى ولو كان ذلك على مستوى كائن لا نجد غضاضة عندما نطؤه بالنعال ، لكن الفطر قد استحوذ على حياة الرجل سنين عديدة ، وكأنما لسان حاله يقول : **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** الفرقان/٢ : **(قد جعل الله لكل شيء قدرا)** الطلاق/٣ . ومن هذا المنطلق ، دعنا نتعرض لما ترددنا في تقديمه ، لنعرف كيف قدرت امور الفطر تقديرا .

فلنقدمه اذن باسمه العلمي « بايلوبولاس ».. والكلمة - كما هو واضح - لاتينية ، وتعني حرفيا الشعرة القاذفة ، وان كان البعض يطلقون على هذا الفطر اسم قاذف الكرة او الطبق ، المهم انه قاذف قذائف موجهة ، ولا تهمنا بذلك الاسماء ، بقدر ما تهمنا الاعمال او الاهداف .

بين افكار وافكار

لكن قبل ان نقدم فكرة هذه القذائف الحية ، ثم مقارنتها بما تمخضت عنه افكار الانسان ، كان من الضروري ان نتعرض باختصار شديد لطبيعة هذا الفطر .. فهو يعيش رمامة على المادة العضوية التي تنطلق كنفايات على هيئة روث يخرج من الخيل والبغال والحمير ، وحيوانات المرعى عموما ، لكنه يترعرع على روث الدواب ، بحكم طبيعتها الصلبة نسبيا ، الا ان العين لا تستطيع ان تكتشف نموه في الروث الا بصعوبة ، لأن الفطر يتفرع فيها على هيئة خيوط حية دقيقة ، فهو يمتص العناصر الغذائية من الروث ، ويحولها الى مادة حية في نسيجه الفطري ، وبعد ايام قليلة ، تنبثق من هذه الخيوط عشرات او مئات المحاور الدقيقة التي تنتهي بقذائفها ، وهذه تستطيع ان تراها بسهولة ، لأن لون القذيفة ذاته اسود ، وتحتها جهاز حي منتفخ ، وفي هذا الانتفاخ تكمن ميكانيكية التوجيه والانطلاق (شكل ١).

الفكرة - لا شك - قد تبدو لنا متواضعة ، لكنها مبتكرة وفعالة ، وتحقق الهدف تماما ، وبحيث اثبت بها هذا الكائن انتشاره الواسع في كل ارض ومرعى ، ولكي تتحقق من ذلك ، فمن اليسير جدا ان تجوبه بنفسك ، اذا كنت لا تعاف تجارب الروث ، ذلك انك تستطيع ان تحصل على هذه القذائف من اية « بعرة » لجمل او حصان او حمار ، ولا يهم بعد ذلك سلالته او عمره او موطنه ، او ان كان يعيش على عشب طازج او جاف ، لأن الفطر قد احتاط للأمر ، وبحيث يحتفظ « بكبسولته » حية لأسابيع او شهور في العشب الجاف .. المهم انك ستجده في اية فضلات ، وهذا يؤكد لك كفاءته الفائقة في سعة الانتشار ، ومن وراء ذلك كفاءته في التصويب والتوجيه ، واصابة الاهداف !

ان تحقيق ذلك لن يكلفك شيئا ، فما عليك الا ان تحضر وعاء .. اي وعاء تشاء ، حتى ولو كان ذلك علبة فارغة ملقاة في القمامة ، وضع فيها عدة بعرات طازجة ، وندها بقليل من الماء ، واتركها مغطاة في مكان دافيء ، ثم عد اليها بعد عدة ايام ، واكشف الغطاء .. هنا ستجد المئات ، بل الآلاف من القذائف السوداء وهي تتجه الى اعلى ، علها تصيب اهدافها .

لكن لا عليك من كل ذلك ، وان كان البحث في اسرار الكائنات يستحق ذلك ، وعلينا نحن ان نقدم ما هو ضروري في هذا المجال ، فالجهاز الحي يتكون من قاعدة محاطة بعقد من الخيوط الفطرية لتشدها وتثبتها في مكانها ، وفوق القاعدة محور حي سمكه لا يزيد عن النصف ملليمتر ، وطوله يقع ما بين ١ ـ ٢ سنتيمتر ، وفي نهاية المحور تكمن استحكامات توجيه واطلاق القذيفة ، وهي لا تزيد عن تكوين أشبه بالعدسة ، وتحت العدسة عين كيميائية ضوئية وفوقهما تكمن القذيفة والقذيفة بمثابة « كبسولة » تحمل في داخلها آلاف الجراثيم الفطرية ، والفطر بهذه الاستحكامات لا يريد حربا ، ولا يبغي قتالا ، بل يريد ان يعيش وينتشر في سلام ، دون ان يحدث اذى بنبات او حيوان ، كما يفعل بعض ابناء عمومته من الفطريات التي تتطفل على كثير من الكائنات .

مبادىء علمية وتكنولوجية

وطبيعي ان الفطر يطلق قذائفه دون ان يحتاج في ذلك لوقود كما هو الحال في قذائفنا ، وهو ايضا يوجه قذائفه دون الاستعانة بشبكة رادار ، لكنه اتخذ من اشعة الشمس هاديا ومرشدا ، وبها يقدر زاوية الاطلاق ، ويضبط على اساسها التوقيت ، والحق ان الخالق قد اوجد هذه المخلوقات ، لتكون دليلا ناطقا على ما في الخلق من آيات ، فمن اسس علمية بسيطة ، يستطيع الفطر ان يحقق انجازات مثيرة ، وطبيعي انه قد جاء بدون فكر او عقل ، لكنه ـ مع ذلك ـ يتصرف كما يتصرف اصحاب العقول ، اذ ليست له دراية بمبادىء هندسية او تكنولوجية ، لكن الامور قد اوحيت في هذه الكائنات وحيا ، وما الوحي هنا الا وحي نظام في المقام الاول !

لهذا لو اتيت اليه في صباح يوم مشرق ، لوجدت آلاف المحاور وهي موجهة نحو الشمس بزاوية قدرها ٤٥ درجة .. يقول خبراء القذائف انها اكفأ زاوية يمكن ان ترسل القذيفة الى ابعد مدى ، ولقد عرف الفطر ذلك منذ ملايين السنين ، وعرفه الانسان في الوقت الحديث .

واذا كان الفطر يستخدم اشعة الشمس كرادار يوجه بها قذائفه نحوها ، فانها هي الوسيلة الوحيدة المتاحة له ، وهو لا يستخدمها فقط للتوجيه ، بل ايضا للتوقيت ، فكأنما هو بدوره قد امتلك ساعة زمنية ليحدد بها موعد الاطلاق ، اذ يبدأ في اطلاق قذائفه ما بين الساعة التاسعة والنصف ، حتى العاشرة والنصف ،

وسر هذا لا يخفى على لبيب ، ففي هذه الساعة بالذات يكون موقع الشمس في الافق مائلا بالنسبة للارض ، وبزاوية تقدر بحوالي ٤٥ درجة بالتقريب ، ولا يهم بضع درجات ناقصة او زائدة عن هذا التقدير ، لأن القذائف في كل الحالات سوف تسلك مسارا يرسلها الى ابعد مدى مستطاع (شكل ٢).

وفي الصباح الباكر يبدأ الفطر عمله استعدادا لعملية الاطلاق ، فتنشط القاعدة الارضية في سحب السوائل من الروث ، وتدفعها بحساب ومقدار عبر المحور الدقيق الى اعلى ، وتتجمع هناك في انتفاخ بيضاوي كبير نسبيا (شكل ٣)، وفي هذا الانتفاخ يحدث ضغط يصل الى ستة ضغوط جوية ، وكأنما هذا الضغط الكبير نسبيا بمثابة الوقود المحرك ، او القوة الدافعة للقذيفة ، وهي نفس الفكرة التي نبني عليها اطلاق مقذوفاتنا وصواريخنا ، لكن لا بد ان يتحول الوقود في عمليات الاحتراق الى غازات ذات ضغط كبير ، وكلما كان الضغط اكبر ، كان اندفاع القذيفة اسرع ، والمسافة التي تقطعها القذيفة اعظم ، لكن الفطر ليس في حاجة الى عمليات احتراق ، لأن الامور قد نظمت له ادق تنظيم ، وبحيث يستفيد من ديناميكية السوائل المسحوبة ، ويرتفع ضغطها شيئا فشيئا ، حتى تصل الى الحدود التي يحدث فيها الانفجار عند قاعدة الكبسولة تماما ، فيدفعها نحو هدفها !

وتأتي الساعة المرتقبة .. وفيها ترى المحاور مشدودة ، والقذائف موجهة بالزاوية المطلوبة ، والضغوط قد وصلت الى حدودها المرسومة ، وفجأة تسمع صوتا خافتا « بلوب »!.. وكأنما هو نبضة قلب واحدة ، وهذا يعني ان اول قذيفة في سلسلة من القذائف المتتابعة قد اندفعت عبر الهواء ، وبسرعة قد تزيد على خمسين كيلو مترا في الساعة ، وهو لا يحتاج الى اكثر من ذلك ، لأن القذائف تنطلق بسرعة اعصار مدمر جامح ، اضف الى ذلك ان هذا التكوين الحي رقيق غاية الرقة ، اي هو ارق واضعف من الشعرة ، ومع ذلك فقد حقق بها طلقة تعتبر بمعايير خبراء الصواريخ انجازا مذهلا فيه حكمة لقوم يتدبرون .

ولو اصخت السمع ، لسمعت أصوات هذه القذائف وهي تنطلق بالمئات والآلاف ، ولو عدت بعد ساعة ، ودققت النظر ، لرأيت المحاور قد التوت وتحطمت من شدة الانطلاق ، ولم يعد لاجهزة الاطلاق الكبيرة نسبيا من وجود ، فلقد حدث فيها التفجير ، وادت بذلك مهمتها خير اداء ، لكنك لا شك واجد ايضا محاور لا زالت قائمة ، فهي لم تستعد بعد ، وسيأتي عليها الدور في حوالي الساعة التاسعة والنصف الى العاشرة والنصف من صباح اليوم التالي ، فيكون كل شيء وقتذاك جاهزا للانطلاق ، وهكذا تسير الامور يوما بعد يوم ، الى ان تفتقر البيئة الى العناصر اللازمة للحياة .. لكنها مستمرة في بيئات اخرى كثيرة وطازجة ، طالما كان هناك فطر يقذف ، وحيوان يرعى ، ونبات يستقبل ثم

يؤكل ، وهكذا تدور الدورة ، كما دارت منذ عشرات الملايين من السنين !

الهدف نبات

لقد ذكرنا منذ لحظة ان هناك نباتا يستقبل ، لأن اتمام حلقات او دورات هذه الاحداث يستلزم نباتا ، ذلك ان الهدف من اطلاق هذه القذائف ان تصيب النباتات التي تنتشر حول الروث بما حمل ، حتى اذا جاء الحيوان ليرعى ، كانت القذائف دائما هناك ، فتسير في امعاء الدواب ، الى ان تخرج مع فضلاتها ، ودون ان تسبب لها اية اضرار .

لكن اصابة الاهداف تحتاج ايضا الى تصميمات واحتياطات ، حتى لا تسقط القذائف من اوراق النباتات ، فكل قذيفة اصغر من رأس الدبوس قليلا ، ومع ذلك ، ففي داخل كل قذيفة ، حوالي مائة الف جرثومة .. الجرثومة بمثابة بذرة تحمل البروجرام الوراثي لهذا الفطر ، حتى اذا نبتت ، تمخضت عن فطر طبق الاصل من اسلافه ، ليعطي بدوره مئات وآلاف القذائف ، التي تحوي بدورها ملايين وبلايين من الجراثيم .

وطبيعي ان انتاج هذه الاعداد الهائلة له ما يبرره ، لأنه يتبع مبدأ علميا معروفا ـ مبدأ الاحتمالات الذي يقوم بدوره على اسس احصائية معروفة ، تحكمها معادلات لها بين العلماء شأن يذكر ، لكن الفطر في غنى عن ورق واقلام وافكار وغير ذلك من امور قد تشقينا وتسعدنا ، ولهذا اتيحت لهذا الكائن كل الفرص التي تساعده على الانتشار ، فأكثر القذائف قد يخيب ، واقلها قد يصيب ، ولهذا كان انتاج الجراثيم ببلايين فوق بلايين ، ليجيء مبدأ الاحتمالات في صالحه ، وحتى لو اصاب الهدف ، فلا بد من احتياطات اخرى تثبته على اوراق النباتات ، اذ ان هذه تتحرك مع حركة الرياح والنسمات ، فيؤدي ذلك الى سقوط المقذوفات من سطوحها الى الارض ، ولكنها لا تسقط ، بفضل ميكانيكية عجيبة لا بد من تقديمها هنا ، لندرك كيف دبرت الامور لكل خلق تدبيرا محكما .

ان المقذوف او ذلك الكيس الجرثومي مزود بسطح سفلي مستو ولزج ، اما سطحه العلوي فمحدب واملس ، وعليه قطرة صغيرة من سائل هي بمثابة جهاز يقوم بحركة انقلاب سريعة للغاية في حالة اذا ما حط المقذوف بسطحه الاملس على النبات ، فاذا حدث ذلك ، كان كفيلا بدحرجته وسقوطه .

اي ان شكل المقذوف وتكوينه يهيىءله احد احتمالين لا ثالث لهما ، فاذا اصاب بسطحه المستوى واللزج ، فان اللزوجة تثبته في مكانه ، وهذا غاية المراد ، اما الاحتمال الثاني : ان يضرب المقذوف بسطحه الاملس ، فتقوم قطرة السائل بثقلها بعملية انقلاب سريعة للغاية ، ومطيعة في ذلك لقوانين التوازن ، فيدور المقذوف على سطح النبات حوالي ١٨٠ درجة ، ليحل السطح اللزج محل السطح المحدب الاملس ، فيلتصق ولا

يقع .

وقد يتبادر الى الاذهان تساؤل : ولماذا لم يأت كل سطحه لـزجا ، ليتجنب هذه المناورات او الحركات التي تشبه حركات « الاكروبات » في السيرك ؟

لأن ذلك يرجع الى كون المقذوف يواجه بسطحه العلوي الاملس تيارات الهواء التي تجفف اللزوجة ، وتضيع وظيفتها ، في حين ان السطح الاسفل الملاصق لجهاز القذف لا يتعرض للجفاف ، اضف الى ذلك ان هذا السطح ـ اي الاسفل ـ على اتصال مباشر بجهاز القذف ، فيمده بالمادة اللاصقة الرطبة التي تساعده على بلوغ مراده ، فاذا لم يصب بها ، اشتغل الاحتمال الآخر ، ليعدل الوضع الى ما فيه صلاحه !

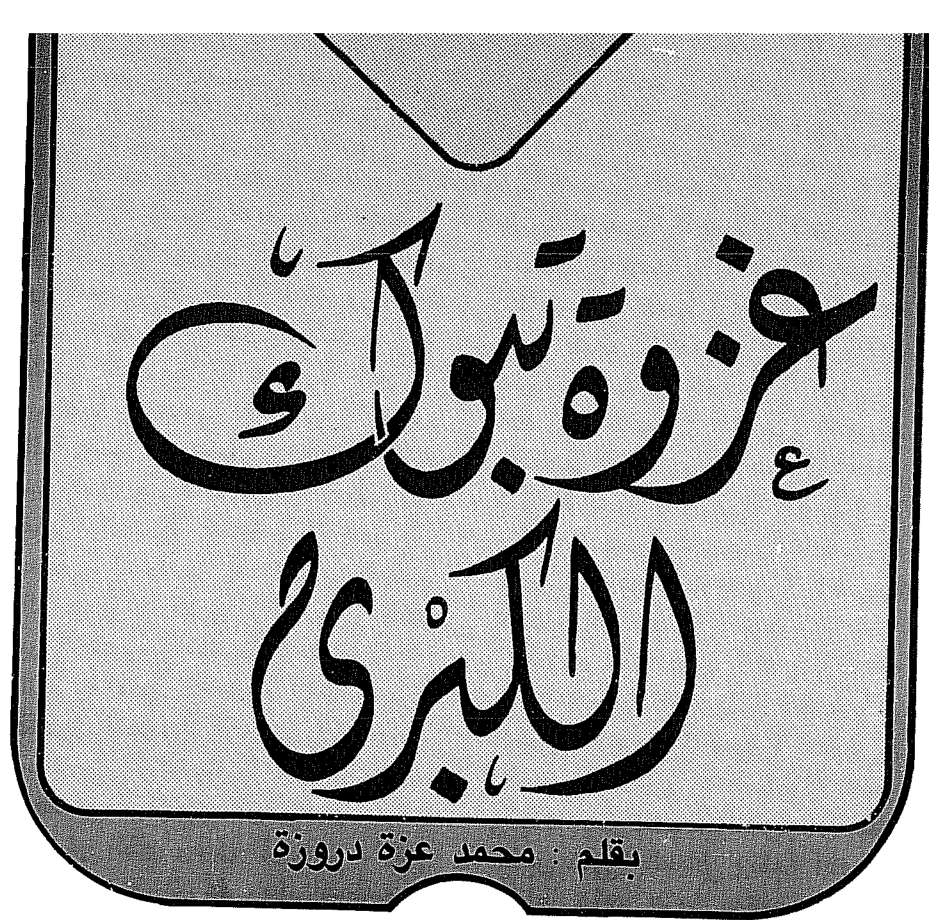
دقة التصويب :

والعلماء الذين تجذبهم اسرار الخلق الخافية ، قد يذهبون الى ما هو ابعد من ذلك ، ليضعوا الفكرة موضع التجريب ، ثم التطبيق ، وهم في كل الاحوال يصلون الى نتائج جميلة ، توضح ان كل خلق قد جاء لما هو له ميسر .. عملا لا قولا ، وربما قادتهم البحوث في اصول الخلق الى اهداف تنفعهم في حياتهم ، فاذا لم يتحقق ذلك ـ وهو نادر ـ فلا اقل من معرفة تضع لنا النقط فوق الحروف ، وتشير الى ان الخلق لم يأت هكذا اعتباطا ، بل قام على اسس قدرت تقديرا : (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر/ ٤٩ : (**وكـل شيء عنـده بمقـدار**) الرعد/ ٨ . حتى ولو كان ذلك على مستوى ذرة وجزيء وخلية وفطر او ما فوق ذلك .

لقد جهز العلماء لهذا الفطر حلقة صغـير من حلقـات الـرمـايـة ، وتكفي لذلك اسطوانة من الفخار طولها متر ، وفي قاعها يكمن الفطر ، وفوقها ورقة بيضاء سميكة لتحجب ضوء الشمس ، ولا تسمح بالنفاذ الا لشعاع صغير من خلال ثقب ، وهنا تتوجه المحاور بما حملت من مقذوفات نحو الشعاع الذي يكون لها بمثابة الرادار ، وبعد ان يطلق الفطر قذائفه صوب الفتحة ، تؤخذ اللوحة ، فتبدو عليها نقط سوداء تكون علامات على ان القذائف قد اصابت هنا ، ولقد ظهر ان نتيجة التصـويب رائعة ، فالمسافة التي تفصل بين الفطر ولوحة « النشان » كبيرة بـالنسبة لطـوله وحجمـه ، ولو اردنـا ان نحسبها لانسان يمسك ببندقية ، فعليه ان يصيب الهدف وهو يقف بعيدا عنه بحوالي ١٥٠٠متر !.. فهل منا من يستطيع ـ بمجهوده الشخصي ـ ان يصيب هدفا على مثل هـذا البعد الكبير ؟

على أية حال ، فلقد فعلها الفطر على قلة حيلته ، وضعف شأنـه ، وكأنما كل امر هنا بحساب ومقدار .

واخيرا ، فلا تعليق ، الا ان نختم ذلك بآيتين كريمتين : (**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**) هود/ ٥٦ . (**وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يـوقنون**) الجـاثية/ ٤. وفي ذلـك الكفاية لقوم يفقهون .



بقلم : محمد عزة دروزة

١ ـ من أحداث السيرة النبوية الشريفة الهامة التي فيها صور مشرفة وطريفة « غزوة تبوك » وهذه الغزوة كانت في السنة التاسعة للهجرة النبوية . وقد قادها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه . وقد بلغ عدد الجيش الذي قاده رسول الله ثلاثين ألفا . ولعله من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب . ولها أسباب مباشرة وغير مباشرة .

● فالمباشرة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم عَلِمَ أن القبائل النصرانية التي كانت خاضعة للغساسنة والروم تتجمع في جهات تبوك لغزو المدينة المنورة .

● أما الأسباب غير المباشرة فهي أن حالة الحرب كانت قائمة بين المسلمين تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم وبين هذه القبائل التي كان أكثرها خاضعا للغساسنة والروم . فقد كان بعضها يعترض السابلة وقوافل التجارة وينهبها . وقد قتل بعضها رسولا لرسول الله . وكان النبي يرسل سرايا دعوة للاسلام فيقابل بعضها بالسلاح والقتل . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل سراياه بقيادة أصحابه ويقود احيانا جيوشا لتأديب هذه القبائل والتنكيل بها . وقد وصلت بعض جيوشه الى «دومة الجندل » في منطقة تبوك . وبعضها وصل الى مكان في « مؤتة » في منطقة معان . في البلقاء أي في عقب دار الغساسنة . وكانت هذه الجيوش

والسرايا تشتبك مع هذه القبائل أحيانا وكان بعضها يلوذ بالفرار وبعضها يدخل في الاسلام وبعضها يعقد عهد صلح مع المسلمين ، وقد كانت تقع معارك ضارية احيانا وخاصة وقعت هذه المعارك بين الجيش الذي وصل الى مؤتة وبين القبائل التي جمعتها الغساسنة والروم . وقد قتل فيها قواد ثلاثة عيّنهم النبي صلى الله عليه وسلم واحداً بعد الآخر . ثم قام القائد الرابع الذي اختاره وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه في عملية بارعة أنقذ بها بقية الجيش (انظر تفصيل ذلك في الجزء الثالث من طبقات ابن سعد). والظاهر ان الروم ـ الغساسنة أرادوا أن يقابلوا هذا الجيش الذي وصل الى عقب دارهم بجيش يصل الى عقب دار المسلمين . فأمروا القبائل بالتجمع في منطقة تبوك . فرأي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يبادرها قبل أن تسير نحو المدينة . فكان ذلك هو سبب هذه الغزوة المباشر كما قلنا .

٢ ـ وكانت هذه الغزوة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية وبعد فتح مكة بعدة شهور . وقد نزل معظم سورة التوبة في صددها ونزل بعض الآيات على النبي وهو في الرحلة خارج المدينة .

٣ ـ ولقد أراد النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يحشد أكبر عدد ممكن لهذه الغزوة التي تكررت فيها الوقائع والتجمعات حتى يرهب أهلها ويحفظ هيبة الاسلام في قلوبهم . وقد كان الوقت صيفا قائظ الحرّ . وكانت السنة شحيحة الموسم فبدا من بعض المخلصين ترددا وتثاقلا فكان موقف الله ورسوله قويا شديدا حاسما تمثله هذه الآيات : (**يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل.إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيدّه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) (رقم ٣٧ ـ ٤١) سورة التوبة .

فتراجع المتثاقلون المخلصون وتابوا واستجابوا وهذا التراجع مثله آية سورة التوبة هذه : (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسرةِ من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم**) رقم الآية (١١٦ ، ١١٧).

٤ ـ ولقد أقبل المخلصون من اهل المدينة ومن حولهم الذين لا أعذار لهم من فقراء ومرضى أو غير ذلك على الاكتتاب في الغزوة حتى بلغ عددهم ثلاثين ألفا وكان عدد الخيل عشرة

آلاف والجمال أضعافا مضاعفة للركوب وحمل الزاد والماء والأثقال . ولن يكد يتخلف من المسلمين المخلصين القادرين الذين لا أعذار لهم إلَّا نفر بعدد أصابع اليد .

٥ ـ وقد عذر الله سبحانه وتعالى ذوي الاعذار على ما جاء في هذه الآيات من سورة التوبة : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ..) (الآية ٩١).

ولقد جاء بعد هذه الآية آية عظيمة تدل على ما كان من شدة رغبة المسلمين المخلصين الفقراء من الانضواء في الجيش النبوي . وتؤيد ما قلناه من أن كلّ القادرين من المسلمين المخلصين قد استجابوا لله ورسوله ما ورد في هذه الآية (**ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَنا ألاّ يجدوا ما ينفقون** ..) الآية ٩٢ سورة التوبة .

ولقد كانت السنة شحيحة الموسم كما قلنا فجمع النبي (صلى الله عليه وسلم) الميسورين من أصحابه وحثهم على التبرع . وقد ذكرت الاحاديث أن عثمان بن عفان قام في موقف فأعلن تبرعه بمائتي بعير وأحلاسها ثم قام في موقف آخر فأعلن تبرعه بثلاثمائة بعير وروى أنه جاء في موقف آخر يحمل في كمه صرة فيها الف دينار فضها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم) فأخذ يقلبها ويقول ماضر عثمان ما فعل بعد ذلك اللهم ارض عنه فأني عنه راض . ولقد روى أن عبد الرحمن بن عوف تبرع بأربعة آلاف درهم . ولم نَطّلع على أسماء متبرعين آخرين من الميسورين . ولا نشك في أنه كان هناك عدد غير يسير منهم تبرعوا وفاتنا الاطلاع على اسمائهم أوقات المسجلين تسجيل اسمائهم .

وفي سورة التوبة آية فيها اشارة الى أن حمية التبرع سرت الى غير الميسورين أيضا وتدل على هذه الآية : (**الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِرَ الله منهم ولهم عذاب أليم**) . (الآية ٧٩) . وهذه الآية نزلت في التثريب على المنافقين وفضح مواقفهم ولكنها كما قلنا تتضمن اشارة الى تطوع غير الميسورين ايضا . وقد روى المفسرون أن هؤلاء كان يأتي بعضهم بصاع من التمر أو صاع من الزبيب أو صاع من البر أو الشعير . فاذا كانت حمية التبرع وصلت الى هذه الطبقة فلا شك في أن كثيرًا من الميسورين غير عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما قد تبرعوا أيضا بمقادير عالية . وبهذا التبرع أمكن حشد هذا الحشد العظيم وأمكن مساعدة كثيرين من الفقراء المخلصين الأصحاء أبدانا العاجزين مالاً مساعدتهم على الانضواء في هذا الحشد .

٦ ـ أما المنافقون فقد تظاهروا في بدء الأمر بالاستجابة ثم أخذوا يستأذنون النبي « صلى الله عليه وسلم »

بالتخلف بأعذار واهية . وقد علم الله ورسوله أنه لو خرجوا لكانوا مفسدين فأذن لهم النبي « صلى الله عليه وسلم » بالتخلف وهذا ما تفيده آيات سورة التوبة هذه : **(لو كان عَرَضاً قريبا وَسَفَراً قاصدا لاتبَّعوك ولكن بعدت عليهم الشَّقَةُ . وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون)** . (الآية ٤٢). وكذلك الآيـة): **(ولو أرادوا الخـروج لأعـدوا له عُـدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَـالاً ولأ وضعـوا خـلالكم يبغونكم الفتنـة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)** (الآية ٤٥ ـ ٤٨). وعدد هؤلاء يقرب المائة .

٧ ـ ولقد أظهر المنافقون فرحهم بإذن رسول الله وتخلّفهم فأنزل الله على رسوله وهو في أثناء الرحلة هذا الفصل اللاذع الصاعق بحقهم (الآية ٨١): **(فرح الـمُخَلَّفون بمقْعدِهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحَرِّ ، قل نار جهنم اشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكـوا كثيرا جزاءبما كانوا يكسبون . فان رَّجَعَكَ الله الى طائفة منهم فاستأذنـوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً إنكم رضيتم بالقعود أوّل مـرّة فاقعـدوا مع الخالفين . ولا تُصلِّ عَلى أحد منهم مات أبداً ولا تقُم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فـاسقون . ولا تعجبـك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يُعذِّبَهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)** (الآية ٨٥). وفي هذه السورة آيات كثيرة في مواقف المنافقين السابقة على ما هو متبادر شاءت حكمة التنزيل أن يوحي بها في منـاسبة تخلفهم لتـزداد فضيحتهم وتظهـر جرائمهم وخبث طواياهم . منها **(قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يُتَقَبَلَ منكم إنكم كنتم قوما فاسقين . وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلَّا وهم كُسالى ولا ينفقون إلَّا وهم كـارهـون)** (التـوبـة ٥٣ ـ ٥٤) و**(ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقون.لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مُدَّخلا لولوا إليـه وهم يجمحون. ومنهم من يَلمِزُك في الصدقات فان أُعطوا منها رَضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون)** (التوبة ٥٦ ـ ٥٨ من سورة التوبة).

و **(ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذُنٌ قل أذُنُ خَير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورَحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)** (التوبه ٦١). و **(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنّا نخوضُ ونلعب قل أبالله و آياته ورسـوله كنتم تستهـزئـون . لا**

تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعفُ عن طائفة منكم نُعذّب طائفة بانهم كانوا مجرمين . المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون.) (التوبة ٦٥ ـ ٦٧) و (**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم وإن يتولوا يُعَذبِّهم الله عذابا أليماً في الدّنيا والأخرة وما لهم في الأرض من وليّ ولا نصير . ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصَّدَّقَن ولنكوُنَنَّ من الصالحين . فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علاّم الغيوب . الذين يلمزون المطّوِّعين من المؤمنين في الصّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سَخِر الله منهم ولهم عذاب أليم . استغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)** (التوبة ٧٤ ـ ٨٠).

٨ ـ ولقد اعتذر أيضا بعض أغنياء وزعماء الاعراب المنافقون وطلبوا من رسول الله أن يأذن لهم بالتخلف أيضا وفي هذا نزلت الآيات التالية منها ما كان قبل الرحلة ومنها ما كان في أثنائها : (**وجاء المعُذِرون من الأعراب ليؤذَن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم . ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم .** (التوبة ٩٠ ـ ٩١) . (**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخَوَالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرِضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم.)** (التوبة من ٩٣ ـ ٩٧ .

٩ ـ ولما اكتمل الجهاز في جيش النبي « صلى الله عليه وسلم)» استخلف في المدينة علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وسار على رأس جيشه العظيم الذي

يمكن أن يقال انه كان من أكبر الجيوش التي تحركت في جزيرة العرب عددا وعدة .

وتخلف عن الجيش النبوي نفر يُعدون على أصابع اليد الواحدة تكاسلوا في الجهاد حتى تحرك جيش رسول الله وهم من المسلمين المخلصين الذين لا أعذار لهم والقادرين بَدَناً ومالاً وهم أبو حيثمة وأبو ذر الغفاري وكعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال ابن أمية فأخبروا النبي بتخلفهم فقال دعوهم ومن يكنْ به خير يأتي به الله .

وقد حركت التقوى الاثنين الأولين فلحقا بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وهو في الطريق . ومما ذكر عن أبي حيثمة أنه عاد الى بيته بعد سفر النبي « صلى الله عليه وسلم » في يوم قائظ فوجد امرأته قد هيأت له عريشا في طرف بستانه ورشته بالماء وهيأت له حلة ماء بارد وطعاما فلما رأى ذلك قال : ليس هذا بالانصاف رسول الله في الشمس وأبو حيثمة في الظل والى جانبه الطعام الشهي والماء البارد والله لن ادخل ثم هتف بزوجته تحضر له هجينة واغراضه وشيئا من الزاد والماء فركبه وقال أنا لا حق برسول الله . ولما أقبل ورأوا غباره قالوا يا رسول الله هذه أغبار راكب فقال رسول الله كن أبا حيثمة فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو حيثمة ولما أقبل على رسول الله قال له خيرا ودعا له وكذلك فعل أبو ذر فقد لامَ نفسه وركب ناطحة ولحق بالنبي في الطريق ورأو الغبار فقالو يا رسول الله هذه غبار راكب فقال كن أبا ذر فلما انكشف الغبار قالوا يا رسول الله إنه أبو ذر فقال له خيراً ودعا له . اما الثلاثة الآخرون فقد ظلوا مترددين متكاسلين حتى فاتهم إمكان اللحاق بالنبي فظلوا متخلفين وكان من أمرهم أن النبي « صلى الله عليه وسلم » ولما رجع بجيشه قاطعهم فقاطعهم المسلمون حتى زوجاتهم طلبت منهم الطلاق وقد تجلد كعب فكان لا يأتي للصلاة ويسلم على الناس وعلى النبي فلا يردون عليه وظل متجلدا . أما الاثنان الآخران فقد انهارت أعصابهما فربطا نفسيهما بسواري مسجد رسول الله فكانت زوجاتهما تفكا وثاقهما للطعام وقضاء الحاجة والصلاة وظلوا على ذلك أربعين يوما . وفي تمام الأربعين خرج رسول الله من بيته وهتف إن الله قد تاب على كعب ورفاقه فبشروهم وحلوا وثاق الموثوقين . وسجل القرآن توبتهم في آية التوبة هذه : (**وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم .**) (التوبة ١١٨) . وكان هذا الحادث درساً بلغياً وعظة عظيمة للمتخلفين عن الجهاد وهم قادرون عليه . وكما قلنا سابقا أن ذكر الخمسة المتخلفين يُردْ أن جميع القادرين صحة ومالا وجميع من أمكن مساعدتهم من الفقراء القادرين بدنا انضووا الى جيش رسول الله «« صلى الله عليه وسلم » ولم يتخلف عنه إلا

المرضى وذوي الاعذار والعاهات والفقراء الذين لم يمكن مساعدتهم .

١٠ ـ ولقد قطع الجيش النبوي المسافة بين المدينة وتبوك في عشرين يوما أو منزلا . ونزل في تبوك ولم يتجاوزها ولم يجد في طريقه تجمعات عدائية وكذلك وجد التجمعات في منطقة تبوك قد هربت ممتلئة بالرهبة من أخبار الجيش النبوي العظيم . ولقد أرسل رسول الله سرايا الى مختلف أنحاء المنطقة حتى مشارف الشام ولم تلق كثيرا إلّا ما كان بين سرية قادها خالد بن الوليد رضي الله عنه الى (دومة الجندل) حيث كان ملكها (الاكيدر) النصراني وقد تصدت له حامية القلعة بقيادة اخوي الملك فاشتبك معها في جولة انتصر عليها وقتل أحد الاخوين وأسر الثاني وقتل وأسر عدداً من الحامية وحينئذ نزل الملك عن حكمه فصالحه على ألفي بعير وثلاثمائة رقيق وأربع مائة درع وأخذه معه الى الرسول « صلى الله عليه وسلم » وكان الرسول قد قفل بجيشه الى المدينة بعد أن أقام فيها عشرين يوما واعتبر المنطقة قد دخلت في سلطانه فعين لها أميرا هو (عياد بن بشر) وقد اخذ خالد رضي الله عنه الاكيدرالى المدينة فأقرّ النبي (صلى الله عليه وسلم » الصلح معه ورتب عليه جزية ثم دعاه الى الاسلام فأسلم على ما رواه ابن سعد في طبقاته . وكتب له هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله للأكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في (دومة الجندل) وأكنافها ان له الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الأرض والحلقة والسح والحافر والحصين ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور وبعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعدفاددتكم ولا يحظر عليكم النبات ولا يؤخذ منكم إلاّ عشر الثبات . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذاك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين » (هذا الفصل منقول من الجزء الثاني من كتاب طبقات بن سعد).

١١ ـ وقد كانت قرى اسرائيلية عديدة منتشرة ما بين تبوك الى مشارف الشام ممن كانوا شردوا من الرومان بعد تدمير اورشليم في أواخر القرن الأول من الميلاد المسيحي وكان أيضا على خليج العقبة ثغر ابله التي كان سكانها نصارى وعلى رأسها أسقف أو أمير اسمه يوحنا بن رؤبة وقد أرسلت هذه القرى وذلك الثغر وفودها الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » حينما بث سراياه ليأخذوا منه عهود أمان ويخضعوا له بايداء الجزية . ومنهم من قَدِمَ عليه في تبوك ومنهم من تأخر فلحق به الى المدينة وهي قرى دومة الجندل ـ اذرح ـ الجرباء . مقنا ـ بنو عريضه ـ بنو عاديا .

١٢ ـ وفي كتاب الطبقات لابن سعد نصوص كتب رواها (أن النبي « صلى الله عليه وسلم » كتبها لأهل هذه القرى وهذا نص الكتاب ان روى

انـه كتبه النبي « صـلى الله عليه وسلم » ليوحنا بن رؤبة وأهل ابله):
« بِسلم أنتم فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو فاني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب اليكم فأسلم أو اعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسهم كسوة غير كسوة الغزاة واكس زيداً كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي فاني قد رضيت وقد علم الجزية فان أردتم أن يأمن البر والبحر فأطـع الله ورسوله ويمنع عنكم حق،كان للعرب والعجم إلا حق الله ورسوله وانك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخـذ منكم شيئا حتى اقاتلكم فأسبي الصغير وأقتل الكبير فاني رسول الله بالحق أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم إنه كلمة الله وإني أؤمن به أنه رسول الله وآت قبل أن يمسكم الشر فإني قد أوصيت رسلي بكم وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعير وان حرملة شفع لكم واني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئا حتى ترى الجيش وانكم ن أطعتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه وان رسلي شرحبيل وأبي حرمله وحريث ابن زيد الطائي فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته وان لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله والسلام عليكم ان أطعتم وجهزوا أهَل أهلِ مقنا الى أرضهم ».

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد قالوا وكتب رسول الله محمد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عاديا أن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء ، الليل مد والنهار شد).

وهذا نص الكتاب الذي روى ابن سعد أن النبي « صلى الله عليـه وسلم » كتبه لبني عريض قالوا : كتب رسول الله « صلى الله عليه وسلم »: (بسم الله الرحمن الرحيم وهذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض طعمه من رسول الله عشرة أوسق قمح وعشرة أوسق شعير في كل حصاد وخمسين وسقا تمر يوفون كل عام لحينه لا يظلمون شيئا). وبقية الكتب من هذا الباب ونكتفي مما تقدم .

١٣ ـ وهكذا حققت غزوة تبوك الكبرى أهدافا عظيمة ولو لم يقع فيها حرب إلا ما كان حول دومة الجندل . فقد أثبتت هيبـة الاسـلام ودولـة المسلمـين وسيادتها تحت راية النبي « صلى الله عليه وسلم » انه قـد توطـدت له السيادة فنصَّب أميراً على المنطقة .

١٤ ـ ولقد ظلت مكة مشركة الى أواخر السنة الثامنة من الهجرة وكانت تحول بشركها بين الدعوة الإسلامية وأنحاء جـزيرة العـرب الأخرى وخـاصة الجنوبية لأنها كانت سادنة الكعبة البيت الحرام ومحجاً لجميع العرب واماما لهم . فلما فتحها الله على يد رسوله في رمضان السنة الثـامنة للهجرة ودانت للاسلام زال الحائل بين الاسلام وسائر انحاء جزيـرة العرب وارسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » سرايا الدعـوة وكتبا كثيرة لزعماء البلدان والقبـائل في مختلف انحاء الجزيرة . وكان فتح مكة ودينونتها بالاسلام داوياً فجعلهم

ذلك يرسلون وفودهم الى رسول الله الى المدينة يبايعونه بالاسلام ويتلقون منه التعليمات في الوصايا ويرسل معهم القراء والقضاة والامراء وجباة الزكاة الذين كان يأمرهم بتوزيع أنصبة الفقراء والمساكين في أهل منطقتها . وهكذا ساد الإسلام والسلطان الإسلامي سائر أنحاء الجزيرة ولا نشك في أن مسيرة الجيش العظيم الى تبوك ما حققه من أهداف عظيمة كان حافزاً شديداً أيضا في تدفق الوفود على رسول الله .

١٥ ـ وحينئذ جاءت اللحظة الحاسمة لضرب الشرك ضربة قاصمة وصيرورة كلمة الله هي العليا في أنحاء جزيرة العرب فأنزل الله أوائل سورة التوبة التي تعلن براءة الله ورسوله من المشركين الغادرين وتأمر بقتالهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم بكل مكان ومطاردته وترصدهم حتى يؤمنوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وتصفهم بأنهم لا عهد لهم وانهم لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذمة وانهم المعتدون وأنهماشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وأنهم الفاسقون مستثنية الثابتين على عهودهم آمرة بالوفاء لهم والاستقامة عليها ما استقاموا عليها وأنزل الله في نفس السورة آية عظيمة الشأن في هذا الصدد حيث حرّمت وجود الشرك والمشركين ودخولهم المسجد الحرام . وهذا التعبير كان يعني على ما تلهمه آيات اخرى منطقة مكة جميعها .

وفي موسم الحج السنة التاسعة التي نزلت بها هذه الآيات أرسل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا للحج وأمره أن يعلق آيات سورة التوبة الأولى المذكورة بشيراً ونذيرا وداعيا الى الله وحده . فكان ذلك حافزا جديدا لتدفق الوفود وسيادة الاسلام وعاملا في انحسار الشرك والمشركين .

١٦ ـ فلما كان موسم حج السنة العاشرة كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على رأس الحجاج الذين بلغ عددهم نحو مائة ألف ليس فيهم مشرك يهتفون : (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ـ ويكبرون : (الله أكبر ـ الله أكبر ـ لا اله الا الله ـ الله أكبر ـ الله أكبر ـ ولله الحمد ـ الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الاحزاب وحدَهُ لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) .

١٧ ـ وبعد عودة رسول الله من حَجه العظيم نزلت عليه سورة النصر : (**إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**) . والتي قال عنها ابن عباس وغيره رضي الله عنهم انها نَعيٌ لرسول الله ، ولم يلبث الرسول أن مرض والتحق بالرفيق الاعلى قرير العين بما حققه الاسلام من نصر وفتح ووعد تمثله آية سورة التوبة : (**هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) .



تعد حرب التحرير الجزائرية إحدى المنعطفات الكبرى في تاريخ الكفاح الذي خاضته الشعوب العربية والاسلامية لإنتزاع حريتها واستقلالها من براثن اعدائها المستعمرين من بقايا الصليبيين. ويدرجها العلماء والباحثون في صدارة السجل الحافل بالملاحم النضالية في القرن العشرين. حيث ضحى فيها الشعب الجزائري بمليون ونصف من ابنائه، وتتبين جسامة هذه التضحية اذا عرفنا ان تعداد هذا الشعب في عام ١٩٥٤ الذي انطلقت فيه ثورة التحرير كان يتراوح بين ثمانية وتسعة ملايين نسمة، وان الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الذي جثم على صدر البلاد مائة وثلاثين عاما قد تركها بعد اندحاره وجلائه عنها سنة ١٩٦٢ قاعا صفصفا من جراء سياسة « الارض المحروقة » التي مارسها طوال الحرب، لبث الرعب واليأس من جدوى المقاومة في انفس المقاتلين في الجبال وفي الريف، اولئك الجنود المؤمنين بدينهم ووطنهم وقوميتهم الذين احتضنهم الشعب بمختلف فئاته دون ان يزحزحه عن موقفه ماصبه عليه الاعداء من شتى صنوف التعذيب والتنكيل.

وقد كان يطلق على هؤلاء الثوار البواسل والمحاربين الاشداء تلك التسمية الجديرة بهم والمستمدة من اصول الشريعة الاسلامية وهي « المجاهدون »، اذ كانت حربهم دفاعا عن العقيدة وعن الأرض والعرض وتحت راية « الله اكبر »، فكانت « جهادا » بمعنى الكلمة، ويكفيهم لاستحقاق تلك المكانة أنهم انتزعوا وطنا عربيا مسلما من براثن أعتى أنواع الاستعمار، وقضوا بذلك على محاولات العدو الغاصب « تنصير » أبنائهم، مستخدما في ذلك طائفة من المبشرين المحترفين على رأسهم الداهية المتعصب « لافيجري »، فجزائر اليوم كلها

مسلمون ، وينص دستورها على أن دين الدولة هو الاسلام . وأن لغتها الرسمية هي العربية . كما قضى أولئك المجاهدون الأحرار على أسطورة « الجزائر فرنسية » التي كان يتشدق بها الاستعمار الفرنسي ، مدعيا ان الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا التي تمتد حدودها ـ تبعا لهذه الدعوى الباطلة ـ من دانكرك في اوروبا شمالا الى تامنراست « محافظة جزائرية » في افريقيا جنوبا .

ومازال يطلق اسم المجاهدين على الجزائريين الذين اشتركوا في حرب التحرير وشهدوا عصر الاستقلال ، وهم يسهمون اليوم في الجهاد الأكبر ، المتمثل في معركة البناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، ويعتبرون هذا الاسهام رسالة سامية لا يقل اثرها عن دورهم في سنوات الحرب ، اما الذين قضوا نحبهم من ابناء الشعب الجزائري سواء منهم المعروفون او المجهولون ، فما زال المجاهدون الأحياء ينبشون عن رفاتهم لاعادة دفنهم ، اذ تكشف عنه معاول العمال كلما حفروا ارضا لارساء قواعد مصنع او مدرسة او غير ذلك من المنشآت والمؤسسات التي تنص برامج التخطيط التنموي على اقامتها ، « آخر واقعة من هذا القبيل اعادة دفن رفات الشهيدين العقيد عميروش ـ وسي الحواس اللذين سقطا بجبل « ثامر » بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٩ ، ورفات ١٢٩ شهيدا بمقبرة الشهداء بقسنطينة ، وذلك صبيحة يوم ٧ مايو ١٩٨٢ الموافق للذكرى السابعة والثلاثين لمذابح ٨ مايو ١٩٤٥ التي سقط فيها ٤٥ الف قتيل على أثر مظاهراتهم ، مطالبين فرنسا بتحقيق وعدها بمنح الجزائر الاستقلال بعد انخراطهم في التجنيد دفاعا عن الغرب ضد النازية والفاشية في منطقة « سطيف وخراطة ـ وقالمة » .

فما من سنة أو شهر أو أسبوع احيانا الا وتصور وسائل الاعلام منظر توقف الآلة الجارفة على اثر ظهور بقايا اجساد تحمل آثار الاحتراق او التعذيب وجماجم اخترقتها رصاصات غادرة ، وحينئذ ينصرف الرجال عن عملهم ليأخذ كل منهم فرعا من شجيرة يمسح بها التراب عن تلك العظام الطاهرة في رفق ، ثم يجمعون هذه الرفات وهم منحنون كأنهم ساجدون في صلاة لم يستطيعوا أداءها في وقتها منذ عقدين من السنين في أرض سقط فيها شهداء بعيدا عن الأنظار ، : **(وما تدري نفس بأي أرض تموت)** لقمان / ٣٤ صرعى مجندلين بأدوات الفتك الجهنمي للعدو الهمجي ، الذي أفرزته الحضارة الغربية ، ـ او مقدمين أرواحهم رخيصة دفاعا عن مقدسات الشعب والوطن والحرية .

وهؤلاء الشهداء الذين ظلوا مجهولين تحت التراب أو الوديان او جنادل الصخور في السفوح والجبال في اقصى الجهات بأرض الجزائر الشاسعة هم الذين رفضوا بعزائم قوية كالفولاذ اغتصاب حقوقهم او تقسيم تراب وطنهم ، فحاربوا عدوهم

المدجج بـأعتى الأسلحة وأحـدثها بصدورهم العارية أو ما ملكت ايديهم من سلاح قليل ضئيل ، وما ادخرت نفـوسـهم من طاقـات التضحيـة ، فاستطاعوا ان يحطموا صلفه وغروره بقوة ايمانهم الذي لا يقهر ، فمنهم « المسبلون » حاملو الرسـائل بـين المقاتلين في الجبال بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين أنصارهم في القرى والمدائن ، وقد حشدوا في معسكرات الموت بعد ان ألقى المجرمون عليهم القبض وهم يقومون بمهامهم النبيلة ، ومنهم المجاهدون الذين كانوا يجوبون الشعـاب والوديـان بـين ظهـراني الشعب ، ليثبتوا إيمانه في التحرير القريب ، ومنهم رجال تلك القوافل التي تحمل السلاح عبر الصحراء دحرا للعدو وشفـاء لصدور قـوم مؤمنين .

ومن ثم اصبحت المدافن الجماعية التي يعثر عليها ومواكب المشيعين لشهدائها بعد مرور عشرين سنة على الطلقات الاخيرة في الحرب التحريرية من الظواهر التي تسترعي النظر ، والتي تنبىء عن عمق الجهاد وبطولة المجاهد في الجزائر ، وتمثـل عبرة للشعوب العربية والاسلامية تستمد منهـا الحـافـز النبيـل عـلى بـذل التضحيات مهما عظمت في سبيل استرداد الحق الضائع ، واستعادة المقدسات التي تطؤها اقدام الأعداء الدنسة ، وتوحيد الجهود تحت راية الجهاد لصد الهجمات التي يشنها المستعمر القديم والجديد ، واثقة انه لا تحرير بغير ايمان بالحق وفداء في سبيله ، وأن النصر لا محالة عقبى المؤمنين المجاهدين .

ويحتل المجاهدون مكانة خاصة في نفوس أبناء جزائر اليـوم والأمس بالنظر الى المناقب المثالية التي كانوا يتسمون بها ، اذ كـانوا يتـركون أطفالهم وبناتهم ونساءهم بلا معيل ، بل عرضة للتنكيل ، ليعيشـوا مع الـوحـوش في مغـاور الجبـال وفي الغـابات ، جـائعين حفـاة عـراة ، مسددين رؤوس بنادقهم الى العدو في معاقله او في أثناء تجوله الارهابي ، حاملين أرواحهم على اكفهم لتقديمها في كل لحظة ذودا عمـا حرم الله انتهاكه ، ومن أجـل جزائـر حرة مستقلـة ذات راية خفـاقـة ورأي مسموع في العالم ومكان كريم تحت الشمس ، فاستحقوا ان ينظر اليهم الشعب الذي جاهدوا لتحريره كأنهم ملائكة مطهرة .

لقد كانوا يؤمنون بالمبادىء المثلى التي أرسـاها المسلمـون الأوائل ، ويقتدون بهم في السلوك القـويم ، فقاموا يدافعون عن المستضعفين في الأرض ، ويردون البغي والعدوان ، ويبنون مجتمعا جديدا على أسس من العدالة الاجتماعية ومنع استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ونشر الاخاء والمسـاواة بين النـاس ، والتمكين للديمقراطية الحقة القائمة على حرية الرأي والشورى والأخذ بما تستقر عليه الأغلبية ، ولقـد حرمـوا على أنفسـهم أثناء ثورتهم المسلحة طيبات الحيـاة ، منتصرين عـلى الغرائـز والنزوات البشرية ، وبلغ بهم ذلك حد

الاقلاع جميعا عن تدخين التبغ طفرة واحدة ، ضنا بثمنه لان المعركة المقدسة اولى بكل درهم ، وحفظا لصحتهم ، ولخشيتهم أيضا أن يتبين العدو مواقعهم من خلال ومضات لفائف الدخان المشتعلة .

ومن السمات التي تأصلت في نفوس الرعيل الأول من المجاهدين الجزائريين وحدة الصف الى جانب وحدة الهدف ، فكانوا يدا واحدة على أعدائهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، اقتداء بالصحابة والصالحين ، وكانت لهم نظم في محاكمة المخالفين منهم لردهم الى جادة الصواب ، كما كانوا يعقدون مجالس للصلح بين المتخاصمين ومكاتب للأحوال المدنية ، ومن ثم كان التلاحم بينهم وبين افراد الشعب وثيقا منذ أول رصاصة أطلقوها ، بل ان الثورة لم تكن لتقوم لولا الاعداد لهذا التلاحم عن طريق تصفية الحزازات التي نجمت عن تعدد الاحزاب السياسية وتفرق الناس بينها .

وقد غالى الناس أفرادا وجماعات في تقدير المجاهدين وتكريمهم من فرط اعجابهم بخلقهم وعملهم حتى كادوا يجاوزون الحد ، فكان اهل القرى عند اندلاع الثورة ينظرون الى المجاهد الذي يمر بهم في طريقه ، ويلبث بينهم حينا او بعض حين ، التماسا للراحة او للاختفاء عن أعين العدو المطارد له أو المتربص به ، كأنه من أحفاد الصحابة أو قبس من النور أو فيض من الخير العميم .

وبلغ تعظيم المجاهد أن كان ينسب اليه ما يشبه المعجزات ، ويعتبر خليفة وجنديا من جنود الله ، ولا شك أن ثمة عذرا لأصحاب هذا التصور وتلك المبالغة التي لم يكن يرضى بها المجاهدون المتشبعون بتعاليم الاسلام الحق ، ذلك لأن هؤلاء المبالغين كانوا قوما بسطاء ، فلم يجدوا غير هذا التصور وسيلة للتعبير عما تجيش به نفوسهم من مشاعر الاعجاب والتوقير والاعتراف بالجميل ، أضف الى ذلك أن كثيرا من المجاهدين يرجعون في أصولهم الى العرب الأوائل الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية وخصوصا من اليمن في أثناء الفتوحات الاسلامية ، فهم ينحدرون من أصلاب رجال تجري في عروقهم دماء العروبة والاسلام .

كما تعلل المبالغة في صورة المجاهد في عيون الجماهير المتشوقة للقائه وايوائه ومد يد المساعدة اليه ، مما كان يؤدي احيانا الى احراق العدو قرية كاملة بحرثها ونسلها انتقاما من أهلها ، بأنها كانت رد فعل تلقائيا للوسائل والحملات التضليلية التي كانت السلطة الاستعمارية تسعى جاهدة للتأثير بها في عقلية الشعب الذي وضع ثقته في قادته المناضلين ، عن طريق تشويه صورة المجاهد ، بادعاء تلك السلطة حينا أنه غول له رأس آدمي وجسم جرادة تطير من مكان الى مكان ، وانه يختفي في باطن الارض ثم يخرج من حيث لا يتوقع أحد ، وحينا أنه مجنون او غاز من الخارج لا ينتمي الى الشعب ولا

يسعى لصالحه ، أو خارج على القانون ، وغير ذلك مما يطفح به قاموس الاستعمار والصهيونية اليوم والأمس القريب ، وسوف يطفح به غدا حتى تتخلص من عارهما الشعوب ، ويكفي في هذا السياق نعت اعداء العرب والمسلمين للفلسطينيين المناضلين ولسائر جنود حركات التحرر الوطني وطلاب حق تقرير المصير بالارهابيين .

وثمة اسم آخر هو « الفلاجة » كان يطلقه الاستعماريون الفرنسيون على المجاهدين الجزائريين وقد اندثر بعد الاستقلال ، شأنه شأن الأسماء والنعوت الباغية الأخرى ، وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل المشتق من الفعل فلق أو قطع ، وقد استعاره الفرنسيون من اللغة التونسية الدارجة ، وكانوا يعنون به أن المجاهدين في نظرهم ليسوا الا فريقا من قطاع الطرق الذين يضربون كل من ألقى به سوء الطالع في طريقهم بشاطور على رأسه ، فيفلقونه نصفين ، قاصدين من وصف المجاهدين بهذه الصورة الخرافية البشعة ، تنفير الشعب من المجاهدين والحيلولة دون لحاق الرجال باخوانهم المحاربين بالجبل لمشاركتهم الجهاد ، لعلم المستعمرين أن جماهير الفلاحين هم بمثابة مخزن الثورة او التربة التي تمدها بكل العناصر الحيوية التي تحتاج اليها ، نظرا لأنهم اكثر الفئات عددا واكثرهم اضطهادا من قبل الأعداء ، وأنهم اذا تبنوا الثورة والمجاهدين على طريقها عجزت أية قوة عن الوقوف في سبيلهم .

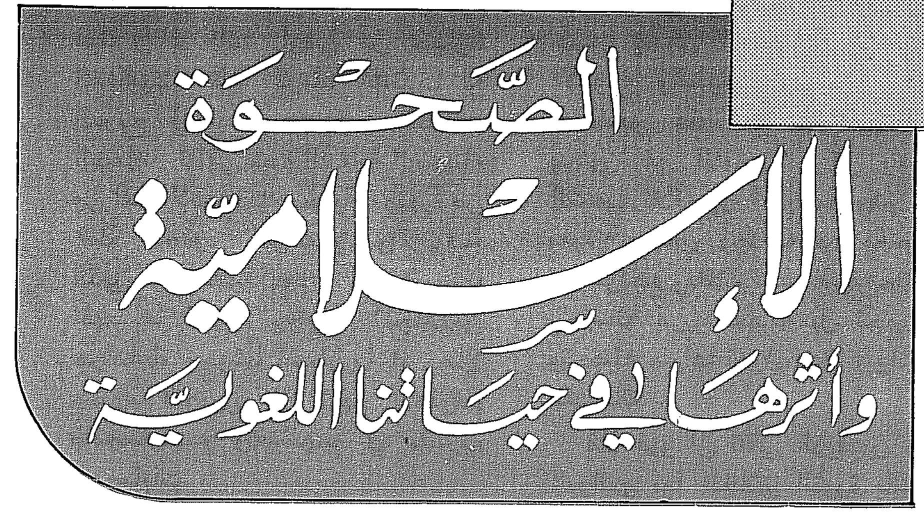
ومن الأكاذيب التي لم يدخر الاستعمار جهدا في بثها قوله ان المحاربين في الجبال هم من حزب الباديسيين نسبة الى الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الجزائريين المسلمين الذين يحاربون عبادة الأولياء وتقديم الذبائح قربانا على أضرحتهم ، ويستنكرون « الوعدات » التي سماها الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله « اعراس الشيطان » . وكان المستعمرون يقصدون من وراء ذلك اثارة الفتنة والعداوة بين أبناء الريف وبين المجاهدين ، بدعوى أنهم ضد التقاليد والمعتقدات ، وقد نجح المضللون في تسخير جمع من اعداء العلم والدين عميت بصائرهم واغرتهم السلطة الاستعمارية بالأموال والمناصب لكي يتهموا المصلحين بأنهم جاءوا بدين جديد ، وهم الذين دعوا للعودة الى الينابيع الصافية الاولى والأصول الصحيحة للأسلام ، والى محاربة « الطرقيين » أدعياء التصوف وما جاءوا به من بدع وخرافات وأباطيل .

لقد كانت الجماهير تعي واقعها من شدة معاناتها اليومية ، وبفضل حركة التنوير الجزائرية في أوائل القرن ، وتوقن أنه لابد ان يأتي اليوم الذي تتحرر فيه البلاد ، وتنتظر صابرة مؤمنة ذلك اليوم حين تهب ريح الثورة فتقتلع أوتاد الظلم والظالمين على يد فئة رائدة منها تقودها في سبيل التخلص من الصليبيين الجدد اعداء الأمة والحق ، ومن ثم رد كيد المفترين

الى نحورهم ، وذهبت محاولاتهم عبثا ، اذ كانت أوهى من خيوط العنكبوت مثلها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فكانت الجماهير تتلقى هذه الدعاية السوداء من افك الأعداء بالسخرية ، وتهزأ من غفلة الجنود الفرنسيين والمرتزقة الذين استعانوا بهم ، ادراكا منها انهم ما كانوا ليعتبروا المجاهدين جرادا أو وحوشا أسطورية أو رجالا مسهم الجنون الا لانهم أذهلوهم بمهارتهم وتفننهم في حرب العصابات .

وكان الشعب يدرك أيضا أن المحاربين في سبيل مبادئه وقيمه إنما هم فتيته الابطال ، والجماهير منذ أقدم العصور تعرف أبناءها الحقيقيين ، ومن ثم سمي الجزائريون الفدائيين منهم « المجاهدين » ، لما اتسم به عملهم من فضائل الجهاد ، إذ كانوا يصارعون القوات المحتلة لطردها من بلد ليس بلدها ويقاتلون عدوا يخالفهم في دينهم وقوميتهم ولغتهم وحضارتهم ، عدوا اتى من وراء البحر وتسلط على ارضهم واعتدى على حرماتهم بشتى اساليب المسخ والتشويه ، كانت الجماهير تعرف ذلك ابان ارتفاع صيحة الجهاد بل قبل اندلاع الثورة ، وهي لم تزل تذكره منذ دنست أقدام أول جندي فرنسي أرض الجزائر العربية المسلمة في ٥ يوليو ١٨٣٥ ، وكيف يتسى ذلك الماضي الأليم وهو مازال حيا متواصلا في الحاضر ، إذ يحتكر « المستعمرون » لأنفسهم أخصب الاراضي ، ويبنون افخر المساكن ، على حين يسكن اصحاب الارض في الأكواخ والخيام ، ويستولي هؤلاء الغاصبون عنوة على كل الخيرات ولا يدعون غير الفتات ؟ وانى يسمع الشعب للأقاويل المغرضة وهو يرى بعينيه ويحس بوجدانه مدى ما حل به من مواجع ومظالم بمصادرة ممتلكاته وحرمانه من سعادته بل تجويعه ، وتجهيله ، واهانته في دينه ، وانتهاك مقدساته .

فلا غرو ان تلقى الريفيون وأهل البوادي نبأ انطلاق الثورة بالفرحة الغامرة ، وانفجرت الشحنات الكامنة في صدورهم عشرات السنين ، فاستجابوا الى دعاة الجهاد ، مدركين ان الحرية لا توهب ، وانما تؤخذ وسط دوي البارود ، وتسابق الشباب الى الانخراط في الثورة ، وباع كثير من الرجال كل ما يملكون وطلقوا زوجاتهم - ليملكن حريتهن - والتحقوا بصف الثوار ، ومن لم يستطع من الشيوخ الحرب قدم ابنه اخا للمجاهدين وهو فخور قرير العين ، وشاركت المرأة أخاها الرجل فيما تستطيع من ضروب الجهاد . وبذلك تحول الشعب كله الى جيش من المقاتلين المؤمنين بقضيتهم والرافعين شعار « الموت او النصر » مستهدفين نيل احدى الحسنيين : قهر العدو وتحرير البلاد والعباد أو الفوز بالجنة ، فانهزمت جيوش الصليبيين الجدد ، وانتصرت ارادة المؤمنين ، لتكون في تلك الهزيمة وذلك النصر عبرة لمن يعتبر .



للدكتور مصطفى عبدالعزيز السنجرجي

يشهد مطلع القرن الهجري الجديد هذه الصحوة الاسلامية التي تمثلت في مظاهر متعددة ، وسيكون لها بمشيئة الله تعالى أعظم الأثر في الأمة العربية التي تسعى حثيثا ليتبوأ أبناؤها المكانة السامية التي أرادها لهم الله سبحانه ، وذكرها في كتابه العزيز اذ قال عز من قائل :(**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران
تمثلت هذه الصحوة الاسلامية في عدة مظاهر منها :

أولا : المؤتمرات الاسلامية :

فقد أقيمت عدة مؤتمرات تُذَكِّر المسلمين بماضيهم المجيد ، وما ينبغي أن يفعلوه ليكون لهم الغد الباسم السعيد ، ومن اليسير أن نلاحظ أن هذه المؤتمرات قد تنوعت فكان منها المؤتمرات الخاصة التي تتناول ناحية واحدة من حضارة الاسلام مثل مؤتمر الطب الاسلامي الذي عقد للمرة الأولى بدولة الكويت يوم الاثنين السادس من ربيع الأول عام ألف وأربعمائة وواحد من الهجرة وحضره عدد كبير من الأطباء والعلماء من جميع أنحاء العالم ، وتناولوا بالبحث والدرس تراثنا الاسلامي الشامخ في مجال الطب ، والتعاليم التي تضمنها هذا التراث في مجال العلاج والوقاية تلك التعاليم التي وضعها الرواد الأوائل من علماء المسلمين العظام الذين تدين لهم الحضارة الانسانية أمثال الرازي وابن سينا ، وابن الهيثم وابن النفيس والبيروني وغيرهم ممن ألَّفوا في الطب والعلوم المختلفة وكانت مؤلفاتهم أساسا لحضارة الغربيين ، استمدوا علومهم منها ، ومازالوا يرجعون اليها .

وقد امتد نشاط هذه المؤتمرات من الشرق الى الغرب ، وأذكر على سبيل المثال من هذه المؤتمرات الاسلامية التي عقدت في الغرب مؤتمر الدعوة الاسلامية الذي عقد في مدينة ميونخ بألمانيا الغربية .

وقد تناولت البحوث والمحاضرات فيه موضوع الدعوة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ودراسة آفاقها ، واستعراض معوقاتها ، ووضع التخطيط لتنشيطها ثم أصدر المؤتمر توصياته في ختام جلساته وتناولت الكثير من الجوانب ، وفي مقدمتها اعتراف الحكومة الالمانية بالدين الاسلامي دينا رسميا اعتمادا على أن تعداد المسلمين عندهم يزيد على مليونين ، وهذا الاعتراف يحقق مزايا كثيرة للمسلمين من أهمها حرية انشاء المساجد والمدارس لأبناء المسلمين ، كما أعلن المسئولون في المركز الاسلامي عن نجاح المفاوضات الخاصة بشراء منزل مجاور للمركز لاعداده ليكون دار ضيافة ، ومكتبة اسلامية ، ومطبعة لطباعة المصاحف وكتب التفسير والفقه والتراث لخدمة المراكز الاسلامية ، كما يستعد هذا المركز لتنفيذ أكبر مشروع خاص بانشاء مزرعة لتربية الأبقار والدواجن ويلحق بها مذبح اسلامي يتم فيه الذبح وفقا للشريعة الاسلامية .

ثانيا : المعاهد الاسلامية :

كذلك من مظاهر الصحوة الاسلامية اقامة المعاهد العلمية التي تعني بالدراسات الاسلامية ، وفي مقدمتها دور القرآن الكريم ، التي تهتم بدراسة أمور الفقه والتفسير و حفظ وتجويد القرآن الكريم .

وفي مجال اقامة المعاهد العلمية التي تعنى بالدراسات الاسلامية نذكر بالاعزاز والفخر أن هذه المعاهد أخذت تنتشر في الغرب أيضا ، وحسبي أن اذكر على سبيل المثال جامعة المشرق والمغرب في الولايات المتحدة الامريكية وهي أول جامعة يؤسسها المسلمون هناك ، وتقوم بتدريس العلوم بشكل عام من وجهة نظر اسلامية ، وتضم ثلاث كليات هي:كلية الهندسة ، وكلية التجارة ، وكلية الآداب والعلوم الانسانية ، بالاضافة الى معهدين أولهما:معهد للدراسات الاسلامية ، وثانيهما: معهد للدراسات الدولية .

وعلى الرغم من أن تأسيس هذه الجامعة لم يمض عليه أكثر من عام فان عدد الطلاب فيها بلغ خمسمائة ، ويتوقعون هناك أن يتضاعف العدد في السنوات القادمة وبلغ عدد الاساتذة أربعين ويشرف على هذه الجامعة مجلسان احدهما : مجلس أمناء ، والثاني مجلس ادارة ، ويضم مجلس الأمناء نخبة من الشخصيات الاسلامية المعروفة كرئيس جامعة الملك عبدالعزيز ، ومدير جامعة الامارات ، .

ومما هو جدير بالذكر هنا أيضا انشاء معهد لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين بجامعة فرانكفورت ، فقد تبرعت دولة الكويت باقامة مقر هذا المعهد وساهم فيه العديد من الدول العربية ، وأقيمت حفلات افتتاحه في نهاية شهر رجب ومطلع شهر شعبان سنة اثنتين وأربعمائة بعد الألف أيضا .

ثالثا : المؤسسات المالية الاسلامية :

ومن مظاهر هذه الصحوة الاسلامية أيضا انشاء المؤسسات المالية فقد انتشرت هذه المؤسسات مع مطلع هذا القرن الهجري الجديد،وأعلن المؤسسون أنهم يستثمرون الأموال طبقا لما جاء به القرآن الكريم واحتوته السنة المطهرة ، وأقرته الشريعة الغراء ، كما أن التزامهم الديني يحتم عليهم السير على هذا النهج القويم في جميع معاملاتهم المصرفية ، لقد أعلنوا الجهاد في سبيل الله لرفع بلوى الربا عن الأمة الاسلامية ، فقد رأوا ما يتعرض له المسلمون من اغراء خبيث نتيجة للتأثير الضار الذي تقوم به المؤسسات المالية التي تخضع لنظام الربا الذي يتمثل في هذه الانظمة الدخيلة على الأمة الاسلامية ، وبما ان الله جلت قدرته قدمنحهم الرزق الواسع من المال فان واجب الشكر عليهم يقتضيهم ان يحققوا لاخوانهم المسلمين الحماية من الوقوع في الربا وأضراره وذلك بإنشاء هذه المؤسسات المالية الاسلامية .

ان هذه الصحوة الاسلامية التي ظهرت مع بواكير القرن الهجري الجديد جعلت العديد من جمهور المسلمين يعلنون سخطهم على المعاملات المالية التي تخضع لنظام الربا ، وقد وجدوا البديل الحلال في هذه المؤسسات الاسلامية ، ومن ثم أقبلوا عليها لينالوا خير الدنيا والآخرة .

وفي مجال المؤسسات المالية الاسلامية نذكر أيضا بالاعزاز والاكبار مشروع بيت الزكاة الذي إقامته دولة الكويت ليتولى جمع الزكاة ، وصرفها في مصارف الزكاة التي حددها الاسلام ، ولا يخفى ما لهذا المشروع من آثار عظيمة في تقوية ركن من أركان الاسلام وتيسير القيام به على المسلمين .

رابعا : الاعلام الاسلامي :

كذلك من مظاهر هذه الصحوة الاسلامية اهتمام وسائل الاعلام بالأحاديث الدينية ، وأخبار المؤتمرات الاسلامية ، بجانب البرامج والمسلسلات ، والقصص ، والمسرحيات ، وسير الأبطال ، ومشاهير الاسلام ، ولا ننسى في هذا المقام أن نشير الى مؤتمر الاذاعات الاسلامية والدور العظيم الذي يقوم به ممثلو هذه الاذاعات تجاه القضايا والمشاكل التي تعاني منها الشعوب العربية والاسلامية .

خامسا : المؤلفات الاسلامية :

فقد ظهرت عدة مؤلفات وموسوعات اسلامية واذكر منها على سبيل المثال كتاب

الثقافة الاسلامية الذي تخرجه هيئة اليونسكو ويقع في خمسة مجلدات كل مجلد منها يتناول مظهرا من مظاهر الثقافة الاسلامية .

أثر الصحوة الاسلامية :

هذه لمحة خاطفة عن مظاهر هذه الصحوة التي كان من أعظم آثارها أننا رأينا كثيرا من شبابنا قد صححوا مسيرتهم نحو الدين ، وأقبلوا على تفهم أحكامه ، والعمل بتعاليمه وآدابه ، وإنا لنرجو أن تكون هذه المظاهر صادرة عن يقين متين ، وعقيدة ثابتة ، وفهم حقيقي حتى تواصل هذه الصحوة مسيرتها وتحقق الغرض المنشود منها .

ويعنيني من الحديث عن مظاهر هذه الصحوة ان أذكر ما سيكون لها من آثار طيبة في حياتنا اللغوية . ذلك لأن الدعوة الاسلامية حينما أشرق نورها على العالم جاءت وبين يديها كتاب الله العزيز الذي كان المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أعظم الأثر في نفوس العرب فعكفوا على قراءته وتدبر آياته ، وحرصوا على محاكات أسلوبه وكلماته ، وسرعان ما ظهر أثره في اللغة العربية اذ أضفى عليها كثيرا من مظاهر الحسن والبهاء ، كما ضمن لها النماء والبقاء . وقد وضعت كثير من العلوم العربية للمحافظة على هذا الكتاب العزيز ، وأقبل الدارسون على دراستها لتساعدهم على فهم أساليبه ، واستنباط الأحكام من آياته ، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين العربية الفصحى والدين الاسلامي ، فالعربية الفصحى وسيلتنا لفهم القرآن الكريم واستنباط أحكام الشريعة ، وتثبيت العقيدة والحفاظ على القومية العربية ، وتراثها المجيد ، ولهذا كان لزاما على أبنائها أن يرعوها حق رعايتها ، ويتصدوا لمحاربة من ينقصها أو يكيد لها .

وان من دواعي الاسف ان نراها قد تعرضت منذ امد بعيد لتحديات شديدة كان لها اثرها في هذا التدني الذي آلت اليه في عصرنا ، ومن ثم تعالت صيحات ذوي الغيرة عليها تنادي باستعادة مجدها ، ودراسة مشكلاتها ، ومعرفة اسباب ضعفها ، والبحث عن انجع الوسائل للنهوض بها ، والتنديد بالتحديات التي واجهتها ، وكان من اخطر هذه التحديات التي ظهرت في القرن الهجري المنصرم نشاط بعض المثقفين العرب في الدعوة الى العامية ، واللهجات المحلية واتهام الفصحى بالجمود والعجز عن التعبير عن مستحدثات العصر ، وانها مثقلة بقواعدها السقيمة التي ترهق كل من يلتزمها ، او يحاول التعبير بها ، وبذلك كانوا يرددون ما ردده المستعمر منذ امد بعيد حين عزّ عليه ان يرى الامة العربية يربطها رباط متين يحافظ على وحدتها وهو اللغة القومية فأخذ يعمل على تفتيت وحدتها وذلك بالقضاء على هذا الرباط الذي يربط بين اجزائها وخير وسيلة لذلك هو الدعوة

الى العامية ونشر اللهجات المحلية وهكذا نشطت الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية وكان في طليعة الابطال الذين حملوا لواء هذه الحرب الدكتور ((ولهلم سبيتا)) الذي يعد اول من كتب في العامية المصرية من الاجانب ، وقد الف كتابه « قواعد العربية العامية في مصر » سنة ١٨٨٠م وكان مديرا لدار الكتب المصرية ايام الاحتلال البريطاني » والناظرون في تاريخ هذه الحرب الاستعمارية ضد اللغة العربية يرون ان هذا الكتاب كان من المحاولات الاولى التي اثارت بحق شكوكا حول العربية لا تزال آثارها عالقة بالاذهان الى اليوم ، كما لا تزال القضايا التي حركها نعاني منها ، ونحاول جاهدين القضاء عليها . « واعتقد ان الداعين الى العامية في هذه الايام الاخيرة من المثقفين العرب، متأثرون الى حد كبير بهذه الحملات الاستعمارية ناسين او متناسين ما تجنيه العامية واحياء اللهجات المحلية على وحدة العرب والدول الاسلامية ، وحسبي ان اشير هنا الى هذا القرار المنصف الذي اصدره المستشرقون في مؤتمرهم الذي عقد ببلاد اليونان فقد جاء في هذا القرار « ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الاسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف ، وان من واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة اساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والاخلاق » .

ومن اليسير ان ندرك ان هذا القرار يشير الى اهمية اللغة العربية الفصحى في البلاد الاسلامية والعربية ، وان واجب الحكومات في هذه البلاد ان تعنى بها عناية فائقة لأنها اللغة التي تصلح للتخاطب ، والكتابة ، والتأليف في هذه البلاد واستطيع ان اضم الى ذلك ان العناية بها توطد العلاقة بين هذه البلاد والقرآن الكريم والتراث العربي الاصيل ، كما ان نشر العامية واحياء اللهجات المحلية يبعدها عن ذلك ، ومن هنا تعالت صيحات بعض البلاد الاسلامية حين استشرى خطر العامية ، وتفاقم خطبها ، واتجه بعض اللغويين الى مناهج واساليب تتفق مع اللغات الاجنبية ولا توائم العربية ومن خير الامثلة التي تصور استياء الامم الاسلامية من هذا الخطر الداهم ما جاء في بيان « جاكرتا » الذي اصدره المؤتمر العالمي الاول للاعلام الاسلامي الذي عقد في الواحد والعشرين من شهر شوال سنة اربعمائة والف للهجرة واستمر ثلاثة ايام فقد اشتمل هذا البيان على التوصية التالية :

« تواجه اللغة العربية الفصحى بوصفها لغة القرآن تحديات خطيرة تستهدف القضاء عليها واعلاء شأن العاميات في البلاد العربية ، واحياء اللهجات واللغات القديمة باستعمالها في وسائل الاعلام من طباعة وصحافة واذاعة وتلفاز ، وذلك للحيلولة دون فهم القرآن الكريم ، والحيلولة دون الاعتزاز بالتراث الاسلامي العربي ، ومن هذه التحديات محاولة اخضاعها لمنهج اللغات الذي وضع اساسا على مقاييس اللغات الاجنبية ، وكذلك محاولة تصويرها بأنها لغة قومية تخص العرب وحدهم ولهم حق تطويرها بينما هي لغة الف مليون مسلم من بينهم العرب .

ولذلك نأمل العمل على حماية اللغة العربية من هذه الاخطار ، وذلك بنشر الوسائط التي تحقق تعليم الاجيال الجديدة الفصحى لغة القرآن وخاصة في البلاد الاسلامية وتقديم الدعم المادي للمؤسسات التي تقوم بهذا الغرض ، واستعمال جميع الوسائل العصرية في تقديمها الى مختلف الاجيال والاوطان بطريقة مبسطة ومشوقة ».

ولا ريب ان هذه التوصية قد بينت بوضوح هذه الامور الخطيرة التي تعرضت لها اللغة العربية الفصحى في هذه الايام ، وكان من نتيجتها هذا التدني الذي نراه في الاجيال الناشئة ، ومن اخطر هذه الامور انتشار العامية واحياء اللهجات المحلية على الرغم من ظهور كثير من البحوث والمؤلفات التي تعالج هذه المشكلة منذ زمن بعيد ، ومن الباحثين من حاول احصاء هذه البحوث والمؤلفات وتتبعها بالدراسة والبحث .

وقد عرفت العربية منذ القرن الثاني الهجري لونا من التأليف يهدف الى سلامتها وتنقيتها مما بدأ يشوبها من كلام دخيل او مختلف عن سنن العرب في كلامها وعرف هذا اللون باسم لحن العامة وهكذا توالت جهود ائمة اللغة عبر هذه العصور الطويلة وكان لهذه الجهود اثرها الكبير في الحفاظ عليها ، ومن ثم ارى لزاما على ذوي الغيرة على العربية الفصحى ان يضاعفوا جهودهم في التغلب على سيل العامية الجارف ، وان يضعوا نصب اعينهم ارتباط هذه اللغة بالقرآن الكريم ، والتراث العربي والاسلامي فهذا الارتباط هو سبب صمودها وبقائها طوال هذه الاحقاب التي لم تظفر بها اي لغة سواها ، وان من اعظم الاعمال التي يجب ان نكرس لها جهودنا هو العمل على نشر اللغة العربية وتيسير تعلمها لغير الناطقين بها .

حقا لقد ظهر في هذا المجال محاولات جادة ونافعة في هذه الاونة الاخيرة اذكر منها هذه المعاهد التي تعنى بتدريب المعلمين على تعليم اللغة العربية مثل معهد اللغة العربية بجامعة الرياض ، ومعهد الخرطوم الدولي بالسودان ، والجامعة الامريكية بالقاهرة . ومنها مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . مثل مركز اللغات بجامعة الكويت ، ومركز اللغات بالجامعة الاردنية ، ومعهد بورقيبة بالجامعة التونسية ، وشعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ومركز تعليم اللغة العربية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ومركز تعليم اللغة العربية بمدينة البحوث الاسلامية بجامعة الازهر بالقاهرة ، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة المستنصرية ببغداد .

ولا ننسى في هذا المجال الاشادة بالندوات والمؤتمرات والبحوث والكتب التي ألفت لنشر هذه الرسالة النبيلة ، وإنا لنتوقع المزيد من هذه الجهود المباركة حتى تسترد هذه اللغة مجدها ، وتعود لها مكانتها وعزتها وسيادتها ، والله الموفق الى سواء السبيل .

مائدة القارىء

من قالها دخل الجنة

الاستغفار عبادة ، وسيد الاستغفار هو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من قالها موقناً بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » . أخرجه البخارى .**

يصلحهم العدل والحق

كتب أحد الولاة الى عمر ابن عبدالعزي يقول : إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بذلك :

فكتب أمير المؤمنين اليه قائلا : أما بعد فقد بلغنى كتابك ، تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام .

لا تخدعك المظاهر

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل منكم وقد لبس فاخر ثيابه ، وتعطر بأغلى العطور ، فيعجبنى شكله وهندامه ، فأقول : هل لهذا الرجل حرفة يقتات منها ، فان قالوا : لا . سقط من عينى .

على رجاء الفلاح

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما
على الغنى : نفسي الأبية ، والدهر
إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه
مواقف ، خير من وقوف بها العسر

فراسة

بينما كان الشافعى ، ومحمد بن الحسن - رضى الله عنهما - ماشيين إذ رأيا رجلا ، فقال الشافعى : إن هذا الرجل نجار ، وقال محمد بن الحسن : إنه حداد . فعندما سئل عن ذلك قال الرجل : كنت نجارا ، والآن اشتغل حدادا .

الأجل

قال حكيم : الموت كسهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .

موعد الغداء

سأل الضيف : متى تتناولون طعام الغداء كل يوم ؟
فأجاب الصغير : فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، أما إذا كان لدينا ضيف ، فنتن وله إثر خروجه مباشرة .

على رجاء الفلاح

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » الآيات من سورة الحج .

إلى الدعاة

قال الشيخ حسين المرصفى : « إن من نصب نفسه لوظيفة الهدى ، ودعاء الناس الى الخير ، يجب أن يكون أبعدهم عن التصنع ، وأحرصهم على الكمال ، فان أدنى هفوة منه تسقط اعتباره ، وتسهل التهاون به ، فلا يكون لكلامه تأثير في القلوب ، ويصقر مجلسه مسلاة يتلهى الناس بحضوره .

وقالوا : ما أحسنالتاج وهو على رأس الملك أحسن ، وما أحسن الدرة وهي على نحر الفتاة أحسن ، وما أحسن الموعظة وهى من الفاضل التقى أحسن .



للدكتور / زيدان عبد الباقي

التخطيط من الأساليب العلمية التي يمكن استخدامها في مختلف النشاطات الانسانية ، ولا سيما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي .

وذلك على أساس أن التخطيط يعتبر بمثابة الركيزة الأساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية . وعلى ذلك فان تحقيق خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية لكل أهدافها مرهـون بمقدار الدقة والموضوعية التي تلازم التخطيط لها .

وهذان النوعان من التخطيط يمكن تقسيم كل منهما الى أقسام فرعية : فالتخطيط الاقتصادي يمكن تقسيمه الى : تخطيط صناعي ، وزراعي ، وتجاري ... والتخطيط الاجتماعي يمكن تقسيمه الى تخطيط تعليمي وصحي وثقافي وترويحي وروحاني واداري وعمراني ... الخ .

والتخطيط الاجتماعي ـ على هذا النحو ـ يعرف بأنه « **عملية تغيير اجتماعي مقصودة ، ووسيلة فعالة لنقل مجتمع ما من مستوى الى مستوى آخر افضل عن طريق تصميم واصدار وتنفيذ مجموعة**

من القرارات المتناسقة والمتكاملة وغير المتعارضة ، بحيث يؤدى تنفيذها الى تحقيق الأهداف التي صدرت من اجلها الخطة ، وبأقل التكاليف الممكنة ، وفي المواعيد المحددة » .

وطبقا لهذا التعريف فان التخطيط - في كل المجالات - يحتاج - أولا وقبل كل شيء - الى نوع من التصور الذهني الناجم عن التنبؤ الاجتماعي لما يراد احداثه من تغيرات في البناء الاجتماعي . ومثل هذا التصور الذهني من الأمور المألوفة في حياة الفرد والجماعة ، والمجتمع المحلي ، والمجتمع الدولي ... كما أنه يحتاج الى عودة الى الماضي لاستلهام التجارب السابقة التي ترتبط بالموضوع أو المجال الذي يجرى التخطيط من أجله ، واذا عدنا الى الماضي ، نجد تجربة عريقة في القدم ، يصل عمرها - الى أبعد من عمر علم التخطيط - بأربعة عشر قرنا من الزمان . وهي التجربة المرتبطة بالغاء الرق في الاسلام ... فما هي أبعاد تلك التجربة الاسلامية الاجتماعية ؟

● الرق والاسلام :

لقد كان الرق سائدا في الجزيرة العربية - بل في العالم كله - قبل الاسلام . وكانت له وظيفته الاقتصادية بجوار وظيفته الاجتماعية . واستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم : « **الناس سواسية كاسنان المشط** » وقوله أيضا « **كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى** » رواه أحمد في مسنده ، واستجابة للتوجيهات الواردة في القرآن الكريم جاءت الخطة الاسلامية للقضاء على الرق متدرجة ومنسجمة مع الاوضاع الاجتماعية ، وبصورة ساعدت على تجنب الهزات الاجتماعية الضارة بالمجتمع .

كان ذلك قبل معرفة علم التخطيط بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فما هي تلك الأسس الاسلامية للتخطيط الاجتماعي ؟

● التخطيط الالهي للقضاء على الرق :

لقد ظهر الاسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، كما ترتكز عليه جميع فروع الانتاج في مختلف أمم العالم يومئذ . ومن ثم فانه لم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول المشرّع الاسلامي تحريمه تحريما قاطعا وناجزا لأول وهلة . على اعتبار أن محاولة كهذه ، كان من شأنها أن تعرّض أوامر المشرّع للمخالفة والامتهان . كما أنه اذا أتيح لهذا المشرّع من وسائل القوة والقهر ما يمكنه من ارغام الناس على تنفيذ ما أمر به . فانه - بذلك - يعرّض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه الى أضرار بالغة .

لذلك فان التخطيط الالهي - من

أجل إلغاء الرِّق - اعتمد على إقرار الرّق . لكن الاسلام الذي أقر الرّق ، كان إقراره في صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وبدون أن يترتب على ذلك أي أثر سيء في نظام المجتمع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغيير مجرى الحياة الاجتماعية .

والوسيلة التي اتخذها هذا التخطيط من أجل تحقيق تلك الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص في العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرّق وتغذيه وتكفل بقاءه ، مع توسيع المنافذ التي تؤدى الي العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بنهر كثرت مصباته وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء . وخليق بنهر هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق في صورة سلمية هادئة . وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام الذي يتعارض مع مبادىء الاسلام .

روافد الرق :

كانت روافد الرق في العصر الذي ظهر فيه الاسلام كثيرة ومتنوعة ، ومن أهمها سبعة روافد هي :

الرافد الأول : هو الحرب بجميع أنواعها ، حيث كان الأسير في حرب أهلية أو خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

والرافد الثاني : هو القرصنة والخطف والسبى . وكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب ، حيث يفرض عليهم الرق .

والرافد الثالث : هو ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة مثل القتل والسرقة والزنا .. وفي هذه الحالات كان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق لمصلحة الدولة ، أو لمصلحة المجني عليه وأسرته .

والرافد الرابع : هو عجز المدين عن دفع دينه ، وبالتالي كان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

والرافد الخامس : هو سلطة الوالد على أبنائه ، إذ كان يباح له أن يبيعهم بيع الأرقاء .

والرافد السادس : هو سلطة الشخص على نفسه ، بمعنى أنه كان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ، ويبيع نفسه لقاء ثمن معين .

والرافد السابع والأخير : هو تناسل الأرقاء ، فكان ولد الجارية يولد رقيقا ، ولو كان والده حرا .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم في نهر الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس ، حتى أن عدد الأرقاء كان يزيد - في كثير من الأمم - على عدد الأحرار زيادة كبيرة .

● خطة الاسلام للقضاء على الرق :

جاء الاسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، محرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين هما : رِقّ

الوراثة . وهو الرق الذي يفرض على من تلده الأَمَةُ . ورق الحرب وهو الذي يُفرضُ على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما .

هذا ومن أهم القيود على كل رافد من هذين الرافدين ما يلي :

★ القيود على رافد رق الوراثة :

فمن أهم القيود التي وضعها الدين الاسلامي لرق الوراثة أنه استثنى منه في البداية الجواري من أسيادهن ، حيث قرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا اذا اعترف به السيد . فمن المعروف أن الاسلام قد أباح ـ للرجل أن يعاشر من ملكت يمينه من الرقيقات مهما بلغ عددهن . ولكن الاسلام لم يُسَمِّ هذه المعاشرة زواجا ، وإنما سماها تسريا ، وإن كان قد رتب عليها كثيرا من الالتزامات والحقوق . ومن هذه الالتزامات أن ولد الرقيقة من سيدها يولد حرا إذا اعترف به السيد . وأن ما تجيء به بعد هذا الاعتراف يعتبر ابنا للسيد ويولد حرا بدون ما حاجة الى اعتراف آخر صريح . كما أن الجارية نفسها تصبح « أم ولد » ... ولا يباح « للسيد » بعد ذلك أن يتصرف فيها ببيع أو هبة أو بأي عقد آخر ينزع ملكيته لها ، كما أن هذه **الجارية تعتق بعد وفاة سيدها** .

ويبدو أن الاسلام قد أباح هذه المعاشرة بين السيد وجواريه لتيسير العتق وللقضاء على رافد كبير من روافد الرق ، وهو **رق الوراثة** . وكان السيد ملزما فيما بينه وبين ربه ـ وإن لم يكن ملزما قضاء ـ أن يعترف بالولد الذي يجيء من معاشرته لرقيقته . واعترافه هذا يزيل عن الولد وأمه صفة الرق ، ويمنحهما نعمة الحرية . ويدلنا التاريخ على أن المسلمين ـ في بدء الدعوة الاسلامية .. كانوا محافظين على روح دينهم ـ بهذا الصدد ـ كل المحافظة . فكان الاسياد يعترفون وقد تحرر بفضل هذا النظام آلاف الأرقاء والرقيقات .

★ القيود على رافد رق الحرب :

ولعل من أهم القيود على رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون في حرب بين طائفتين من المسلمين . فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق سواءأكانوا من الطائفة الباغية أم من الأخرى . واشترط ـ فوق ذلك ـ أن تكون الحرب شرعية ، أي يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين ... ولا يكاد الاسلام يبيح الحرب إلا في ثلاث حالات هي :

١ **حالة الدفاع عن النفس والوطن** : وذلك استجابة لقوله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

٢ ـ **حالة نكث العهد والكيد للدين الاسلامي** : وذلك استجابة لقوله تعالي : (**وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا**

أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة / ١٢ .

٣ - عندما تتحتم الحرب لاعتبارات تتعلق بسلامة الدولة ، والقضاء على الفتنة استجابة لقوله عز وجل : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)** البقرة / ١٩٣ .

هذا ولم تتجاوز حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، هذه الحالات ، سواء في حروبه مع قريش أو مع اليهود أو مع الروم . فاذا لم تكن الحرب مشروعة ، بأن أعلنت في غير الحالات السابقة . أو لم تنفذ وفق الأسس التي وضعها الاسلام ، أو لم تكن معلنة من قبل الخليفة ، فانها لاتؤدى الى رق من يؤسرون فيها . وحتى مع توافر هذه الشروط ، فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر . بل يبيح للامام أن يمن على الأسرى بدون مقابل . **أو يطلق سراحهم في نظير فدية أو في نظير اسرى من المسلمين عند العدو ، أو في نظير جزية تفرض على رؤوسهم** . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن القرآن الكريم قد تحاشى أن يذكر الرق بين الأمور التي يباح فيها للإمام أن يعامل بها الأسرى . واقتصر على ذكر المَنّ والفداء لقوله سبحانه وتعالى : **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مَناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)** محمد / ٤ .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال الرق عن طريق الأسر نفس المسلك الذي سلكه حيال الرّق الوراثي ، حيث قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للأسر ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام لم يحببه اليه ، بل حبب الى غيره وفضله عليه .

تلك هي الوسيلة التخطيطية التي اختطها الاسلام حيال روافد الرق ، والتي قضت عليها جميعا ، ما عدا رافدين اثنين . وهذان الرافدان قيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص الاسلام على مبادىء الحرية هو ما سلكه حيال العتق وتحرير الأرقاء .

★ المنافذ الأخرى للعتق :

كانت منافذ العتق من الرق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق . فلم تكن الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده . وبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرقيق أن يظل هو وذريته راسفين في أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية ، وبعد اجراءات قضائية ودينية واجتماعية معقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد - فضلا عن هذا كله - غرامة كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعا لحق من حقوقها .

جاء الاسلام وتلك حال العتق في

ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فحطم كل هذه القيود ، وفتح للأرقاء أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافاً من الفرص الميسورة . وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل ... فجعل الاسلام من أسباب العتق ـ على سبيل المثال ـ أن يجرى على لسان « السيد » في أية صورة : **لفظ يدل على عتق عبده** . سواء أكان جادا في النطق بهذا اللفظ أم كان هازلا . وسواء أكان مختارا أم مكرها . وسواء أكان في حالة عادية أم فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات ، أو بسبب المعاناة من حشرجة الموت ... الخ . ومن هذا يتضح أن الاسلام يتلمس أوهى الأسباب لتحرير الأرقاء .

ومن الأسباب الأخرى ـ التي اتاحها الاسلام ـ للعتق ، أن يجرى على لسان السيد في أي صورة « **لفظ يفيد التدبير** » أي لفظ يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . إذ أن مجرد صدور عبارة عن « السيد » تفيد هذا المعنى ، تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده . وقد اتخذ الاسلام جميع وسائل الحيطة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد . فحظر على « السيد » في أثناء حياته أن يبيع عبده « المدبر » أو يرهنه او يهبه أو يتنازل عنه لآخر ، أو يتصرف فيه أي تصرف ينقل ملكيته الى شخص آخر . واذا كان « المدبر » جارية يسرى حكمها على من تلده بعد تدبيرها ، فيعتق معها بعد وفاة سيدها ، أقر بذلك ورثته أو لم يقروه .

ومن أسباب العتق ـ في الاسلام ـ كذلك ، أن يأتي « السيد » من جاريته بولد يعترف ببنوته . ففي هذه الحالة يعتبر الولد « حرا » من يوم ولادته ـ كما ذكرنا ذلك فيما سبق ـ وتصبح الأم نفسها حرة بعد وفاة سيدها . وقد اتخذ الاسلام لضمان الحرية لهذا النوع من الرقيقات ، الاحتياطات نفسها التي اتخذها حيال النوع السابق .

ومن أسباب العتق الأخرى في الاسلام **أن يكاتب السيد عبده** ، أي يتفق معه على أن يعتقه ، اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال ، في صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فقد أباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، بمعنى أن يبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ، حتى يستطيعوا جمع المبالغ المالية التي كوتبوا عليها ، وبالتالي تتحرر رقابهم . ومن أجل ذلك حث الاسلام المسلمين جميعا على مساعدتهم ، والتصدق عليهم ، فقال تعالى : **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ، إن اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور**

رحيم) النور / ٣٣ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل جعل سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ وقفا على مساعدتهم وتخليصهم من الرق . ويدل ظاهر القرآن الكريم ، على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول « **المكاتبة** » من أيدي العبد رغبة في تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه ، وذلك استجابة لما جاء في الآية السابقة من قوله تعالى : (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا و آتوهم من مال الله الذي آتاكم**) وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح ، سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ضرورة المكاتبة « **أواجب عليَّ اذا طلب مني مملوكي الكتابة أن اكاتبه ؟ فأجابه** : عليه الصلاة والسلام بقوله : « **ما أراه إلا واجبا** » ... واستدل بالآية الكريمة السابقة . واذا كان المكاتب « جارية » سرى حكمها على من تلده بعد مكاتبتها ، فيعتق معها بدون « عوض » بمجرد أدائها المبلغ الذي تعاقدت مع سيدها عليه ، سواء أرضى « السيد » بذلك أم لم يرضَ ؟

العتق والتكفير عن الذنوب :

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها بين آونة وأخرى ، وجعل كفارتها تحرير الأرقاء . فقد جعله الاسلام تكفيرا للقتل الناشىء عن خطأ ما ، وما في حكمه ... وللحنث في اليمين ، وللظهار ـ وهو أن يقول الرجل لامرأته : **انت علي كظهر أمي** ـ وذلك تلبية لقوله تعالي : (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير**) سورة المجادلة / ٣ .. وتكفيرا أيضا للقتل الخطأ ، كما جاء في قوله تعالى : (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا أن يصدّقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما**) النساء / ٩٢ . وتكفيرا أيضا عن اليمين اللغو واليمين الغموس لقوله سبحانه وتعالى : (**لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون**) المائدة / ٨٩ ... الخ . وتقرر الشريعة الغراء أن من وجبت عليه كفارة من هذه الكفارات ، ولم يكن يملك عبدا ، وجب عليه أن

يشتري عبدا ويعتقه متى كان قادرا على ذلك .

تحرير الأرقاء من أكبر القربات :

وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الأرقاء وجعله من أكبر القربات التي يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى . حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم ليضرب به المثل في جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « **من فعل كذا ... فكأنما أعتق رقبة** » أو « **يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة** » ... الخ .

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص سهما من مال الزكاة ـ أي جزءا من موازنة الدولة ـ ليصرف في الانفاق على تحرير الأرقاء ، أي شرائهم وعتقهم . ومساعدة من يحتاج منهم للمساعدة في سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) التوبة / ٦٠ . اي فك قيود الرق عن رقاب الأرقاء . والمقصود « بالصدقات » في الآية الكريمة ، الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة .

الحرية والحياة العائلية للرقيق :

أما فيما يتعلق بالحياة العائلية أو الاجتماعية للرقيق نفسه ، فإن الاسلام لم يقتصر على ما قرره بصدد « **أم الولد** » وإلحاق نسب أولادها بسيدها ، بل حرص كذلك على أن يكون للرقيق حياة عائلية مستقرة عن سيده ، وعن أسرة سيده . فحث « السيد » أن يزوج أرقاءه ذكورهم وأناثهم زواجا شرعيا كاملا على طريقة التعاقد . فقال سبحانه وتعالى :

(**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**) النور / ٣٢ ـ أي زوجوا ـ.

زواج الأرقاء بالأحرار :

ولم يجز الاسلام للأرقاء أن يتزوجوا من أرقاء مثلهم فحسب ، بل أباح لهم أن يتزوجوا من أحرار . ذلك أنه يجوز للمسلم من العبيد ـ في الاسلام ـ أن يتزوج « **حرة** » غير سيدته والأمة « **حرا** » غير سيدها . ولم يجعل الاسلام للسيد أي سلطان على رقيقه ، ولا على جاريته في شئون أسرتهما الخاصة ... فلم يمنحه مثلا الحق في التفرقة بين رقيقه وزوجته ، ولا بين أمته وزوجها . وقد روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس أنه قال : اتى النبي عليه الصلاة والسلام رجل فقال : يا رسول الله ، سيدي زوجني أمته . وهو يريد أن يفرق بيني وبينها ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فقال « **يا أيها**

الناس ، ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ! إنما الطلاق لمن أخذ بالساق » زاد المعاد ص ٢٠٠و ٢٠١ . يقصد بذلك أن حق الطلاق - في هذه الحالة - لا يكون إلا للزوج نفسه وليس لسيده .

تعقيب :

وهكذا نجد أن الاسلام قد أرشدنا الى الأسس العلمية للتخطيط الاجتماعي بمثال تطبيقي يتعلق بتحقيق قاعدة الحرية الاسلامية لكل المسلمين . فقد حدد الاسلام هدف الخطة وهو « **تحرير الأرقاء بدون إحداث اية هزات اجتماعية** » ثم التزم بالمباديء العلمية للتخطيط مثل : -

- **مبدأ الواقعية** : حيث راعى الاسلام الدور الاقتصادي والاجتماعي للرقيق . ومن ثم لم يدع الى تحريره مرة واحدة ، وإنما أخذ بمبدأ التدرج الاجتماعي حتى يتقبل المجتمع « **التغير الاجتماعي الايجابي** » الذي جاء به الاسلام . وبالتالي فقد تحققت الحرية للرقيق ، وتحققت المساواة الاسلامية في المجتمع ، مع استمرار المجتمع الاسلامي - بعيدا عن الهزات المدمرة - في الازدهار والتقدم .
- **مبدأ الشمول** : حيث راعت الخطة الاسلامية عدم استثناء أي شخص من الرقيق أو من السادة من الالتزام بكافة أوامر الدين ونواهيه . كما حدد كافة الروافد التي تغذي نهر الرق والغاها جميعها على الفور ، ما عدا اثنين منها وضع لهما من القيود والمنافذ ما يقضي ، ودون نسيان « **رافد** » أو إهمال « **منفذ** » .
- **مبدأ المرونة** : حيث أباح الاسلام المكاتبة بين «السيد » وعبده أو أمته ، والزم « السيد » - كما ألزم الدولة - بمساعدة الرقيق في تحرير أنفسهم ، وكذلك أعطى الحرية للسيد في الاعتراف ببنوة من تلده له أمته . ورتب على هذا الاعتراف حرية المولود ، ثم حرية الوالدة ، بعد وفاة سيدها ، حتى تتحرر رقاب الأرقاء بعيدا عن المصادمات الدموية بينهم وبين سادتهم بما يتفق مع ظروف ذلك الزمان ، والظروف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية يومئذ .
- **مبدأ التقدمية** : حيث رفض الاسلام **التفرقة العنصرية** بمختلف أشكالها ، وحقق المساواة بين كل المسلمين . وجعل الأفضلية لمن يحوز « التقوى » التي كانت - ولا تزال - متاحة - لمن يريد - الحصول عليها بدون معوقات ، ويكون له حينئذ أن يتساوى مع سيده السابق أو يتفوق عليه اذا كانت لديه مبررات التفوق ... وكان ذلك قبل صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان بثلاثة عشر قرنا من الزمان . ذلك الاعلان الذي يتشدق به الأوربيون بالرغم من أن الأخذ به من الأمور الاختيارية . وذلك أبلغ دليل على **تقدمية الاسلام** الذي تنبأ بالصراع الحتمي الذي يمكن أن يقع بين العبيد وسادتهم عندما تتوافر للفريق الأول عناصر القوة على الفريق

الثاني . وبالتالي عمل الاسلام على تجنب ذلك الصراع .

ـ **مبدأ الموازنة بين التنمية الاقتصادية وبرامج الخدمات** :فقد راعى الاسلام دور الأرقاء في القيام بمختلف الأعمال اليدوية الزراعية والصناعية والتجارية ، عن طريق تحرير الأرقاء على التدريج ، وليس دفعة واحدة . وذلك حتى لا تتوقف المنتجات الزراعية والصناعية والتجارية التي كانت تقوم ـ بصفة كلية ـ على سواعد العبيد . وبالتالي تحدث مجاعة في المجتمع ... ولذلك تميزت الخطة الاجتماعية لتحرير رقاب الأرقاء بالمرونة والتدرج من جانب ، وبالمواءمة والتنسيق بين حاجات المجتمع الاقتصادية وحاجاته الاجتماعية من جانب آخر .

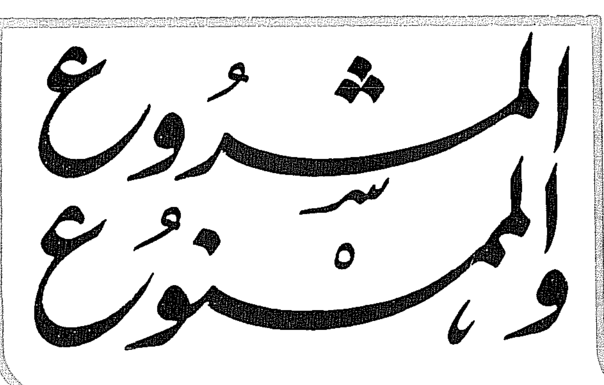
ـ **مبدأ التنسيق** : حيث أخذ الاسلام بتحرير الذكور والاناث من الرقيق ، وفتح كافة منافذ العِتق على مصراعيها بطريقة منظمة ومتماشية مع بعضها البعض ، ومع الأوضاع والظروف الاجتماعية لتجنيب المجتمع ويلات الهزات الاجتماعية .

ـ **واخيرا مبدأ مراعاة الظروف الداخلية والخارجية** : حيث كان ـ ولا يزال ـ الاسلام موضوعيا مع نفسه ومع المجتمع ، بل مع مختلف المجتمعات والأمم التي كان من المتوقع امتداد الاسلام اليها ، باعتباره الدين الخاتم ، أو الدين العام للبشرية كلها ، والذي ليس لبشر أن يتخذ دينا سواه ، ولذلك كانت القواعد التخطيطية الاسلامية ضرورية في كل زمان ومكان داخل الدولة الاسلامية ... ومتاحة لمن يرغب في تطبيقها من مختلف الدول الأخرى غير الاسلامية .

ولذلك ، فكما يعرف التخطيط الاجتماعي الحديث يمكن أن يعرف التخطيط الاجتماعي الاسلامي بأنه « **عملية اجتماعية مستمرة تتناولها جماعات او قيادات شعبية ، يتعاون فيها علماء دين ، ومهنيون ، وخبراء ، ومتخصصون . وتتضمن دراسة موضوعية ، وروية وتؤدة ، وتدبرا او بصيرة ، وخبرة عملية ونظرية ، وتفكيرا وتنبؤا لتعبئة موارد المجتمع البشرية والمادية واستثمارها في تحقيق اهداف المجتمع** » .

ذلك هو « التخطيط الاجتماعي الاسلامي » وتلك هي قواعده وأهدافه التي أخذ بها الاسلام عندما أشرق نوره على البشرية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ... ومما تجدر الاشارة اليه انه بالرغم من أسبقية المسلمين الى مثل هذا التخطيط الإلهي العلمي ، فان المسلمين المعاصرين يتهافتون الى قواعده المستوردة بدلا من الغوص في البحار والمحيطات الاسلامية بحثا عن اللآلىء الاسلامية واستخراجها وتجليتها وتقديمها للناس . ولا سيما للأجيال التي تحتاج منا نحن الآباء والمعلمين والأساتذة الى العمل المخلص على « **أسلمة** » العلوم التي تجري تنشئة الأطفال اجتماعيا عليها .

الغيرة بين



للدكتور
عز الدين علي السيد

خلق الله الانسان بفطرة صافية مستقيمة ، فاذا تلقت هذه الفطرة الصافية ظروف الحياة فتعاملت مع الوسط الاجتماعي والطبيعي حولها ، وتدرجت في النماء قوى الجسم ومدارك الوجدان ـ أخذت هذه الفطرة في التأثر بكل ما حولها من وجودها ، الذي لا يمكن ان تستقل عنه ، والذي ما خلقت الا لتحيا فيه ، على درجة ما من الصراع الدائم تغلب وتغلب .

وهذه الفطرة النيرة في الانسان ، مهما تغلفت بالحجب الكثيفة من ظلام الفتن والشهوات والضلال عن الحق ، لا بد لها في ساعة من اليقظة والاشراق ، المنتصر حينا ، او الذي ما يومض حتى ينطفىء حينا آخر .

وقد بين الحق جل علاه بما لا يحتاج الى زيادة ، صفاء تلك الفطرة في أول الخلق ، ومواءمتها لما شرع ، فقال تعالى : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) ٣٠/الروم .

ومن البديهيات ان الفطرة قبل ان تلتاث بما في الحياة من مخالفات للدين ، هي بيضاء نقية نقاء الدين ، لذلك فسر الفطرة في الآية كثير من الصحابة ومن بعدهم بالاسلام الفطري ، الذي يؤكده في مستأنف الحياة إيماننا الشرعي ، فاذا جانبه سقط حينئذ الاعتداد به .

قال القرطبي : والاولى حمل لفظ (الناس) في الآية على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم ، وانهم جميعا يفطرون على ذلك ، لولا عوارض تعرض لهم ، فيبقون ـ لعل الامام القرطبي اراد « فيصيرون » لأنهم كانوا على الفطرة ـ بسببها على الكفر ، كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ـ وفي رواية : على هذه الملة ـ ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهمة بهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول ابو هريرة :

واقرأوا ان شئتم« **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » ٤/٢٢٤ فتح القدير .

واقول ردا على الواحدي الذي يرى تخصيص لفظ « الناس » في الآية بالذين فطرهم الله على الاسلام ، لأن المشرك ـ في نظره ـ لم يفطر عليه : إن سياق الحديث الصحيح لا يساعده ، لأن « ما من مولود » قد جاءت فيه النكرة في سياق النفي فهي عامة ، ثم اكد نفي العموم قبل الاستثناء بحرف الجرد الزائد « من » ولو كان المراد ما بينه ، لسقطت دلالة الاستدراك في الحديث « ولكن ابواه يهودانه ...» كما تسقط دلالة التمثيل بالبهمة تولد جمعاء حتى تنالها يد البشر فتصبح جدعاء . ذلك فضلا عن طائفة من نصوص السنة تؤكد هذا المدلول ، منها ما ورد عن عياض بن حماد في الحديث القدسي : « واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم » ٤/٢٢٦ فتح القدير .

عودة :

في المقومات الأولى لهذه الفطرة ، ما نسميه بـ « الغيرة » لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالصحة النفسية والحياة الوجدانية ، التي تحفظ بنموها واعتدالها صحة حياة الفرد وصحة حياة المجموع

ويمكن ـ دون حاجة الى الفلسفة وحدودها ـ ان نكتفي بتفسيرها اللغوي ، وهي في اللغة الحمية والانفة : اي انها حساسية في النفس ينطلق منها صوت الانكار لما تراه حيفا على ما تجب حمايته ، وهذا الصوت النزوعي هو رد الفعل لهذا الحيف ، وقد يتمثل في تغضن الجبين نتيجة الانفعال ، عند عدم القدرة على التعبير بما هو أمثل ، وقد يزيد الى ارتكاب قتل المعتدي عند القدرة ، وتبرير النفس الثائرة لهذا النوع الكبير من رد الفعل .

والذين لا يغارون ـ على الاطلاق ـ قد فسدت عندهم الفطرة ، فهم ادنى في تبلدها من بعض الحيوان ، وانما اقول : « بعض الحيوان » لأننا نرى الكثير من انواع الحيوان يغار ، والمشاهدة المتكررة على اصنافه ـ حتى النازلة ـ تؤيد هذا الحكم .

مشروعية الغيرة :

وأعلى ما تؤيد به الغيرة وتكرم ، انها صفة لله جل علاه ، من اجلها حد الحدود التي عندها يجلد الانسان او يقتل قصاصا ، او يحكم عليه بدخول النار طهرة او خلودا ، حين يحيف على حمى الله الذي يجب ان يحذر ، والذي وضع على رأسه قوله تعالى: **(يا عباد فاتقون)** ١٦/الزمر وقوله : **(ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد)** ٣٠/آل عمران .

وكما ان ذلك كذلك ، يلحقه في التكريم للغيرة انها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي خلقه القرآن ، فلم تكن انفعالاته الا رد

الفعل لهذه الغيرة ، حين يرى المخالفة لشيء أمر الله به ، او الوقوع في أمر نهى الله عنه .

وقبل الدخول في التفصيل نذكر من الحديث بعض الشواهد ، التي تؤيد الحرص الشديد من رائد الامة وقائدها ومعلمها الرؤوف الرحيم ؛ لتكون هذه الغيرة خلق المؤمن ، الذي يحقق ذاته الايمانية ، ليتحقق به وبأمثاله مجتمع الاسلام العفيف الشريف .

قال ابو هريرة رضي الله عنه : قال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، لو وجدت مع اهلي رجلا لم امسه حتى اتى باربعة شهداء ؟ قال : « نعم ». قال : كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا ما يقول سيدكم ! انه لغيور ! وانا أغير منه ! والله أغير مني !» اخرجه مسلم .

لعلك ترى ان وصف النبي سعدا بالسيادة ، وامره الاصحاب ان يسمعوا ما يقول ، ما هو الا اعجاب بغيرته ، يؤيد ذلك عدم الانكار عليه ، والحاق غيرته بذلك الاستدراك الذي جعل نبيه شريكا له في الغيرة من وجه ، وأفضل من وجه ، ثم رفع هذه الغيرة تصعيدا إلى القمة ، حيث نسبها على وجه التفضيل الى ربه جل علاه !

وما اروع ما جاءت عليه العبارة الاولى من النظم ودقته « إنه لغيور » حيث أكدت بالاسمية ، و « إن » و « اللام » وصيغة المبالغة التي تدل على دوام استصحاب الصفة ، تقريراً لتلك الغيرة الغالية في خلق الصاحب الجليل ، لأن الغيرة سلاح المؤمن الحق الذي يحارب به الرذيلة ويذود به عن الشرف !

« **إن الله تعالى يغار ، و إن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه** » ١/٣٥٩ ـ الفتح الكبير .

وقد ذم وهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يغار على عرضه اشد الذم والتهديد بقوله : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث » ١/٥٣ ـ الفتح الكبير .

ولغيرة الحق جل علاه على كلمته أوجب القتال لتكون كلمته العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى . ولغيرته على الحقوق والواجبات التي سنها لقيام المجتمع المثالي اوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلهما مع الايمان موجب الوصف بخيرية هذه الأمة اذ قال : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ١١٠/آل عمران .

وجعل النبي ادنى انكار المنكر بغضه عند العجز عن كفه ودرئه وذلك أضعف الايمان ، ومثل المجتمع تارة بسفينة في البحر ، لو ترك أهلها لسفيه أن يخرق ما يدعي أنه من حقه فيها ما كان لهم الا ان يغرقوا جميعا ! ومثلهم تارة بالجسم الواحد يصاب بالحمى والسهر لعضو واحد منه أصابه الألم ، وذلك منه صلوات الله وسلامه عليه ايقاظ لوعي أمته ، حتى يبرأ من

جريرة ما تجلب على نفسها من مصائب التساهل والتفريط في جانب الله !

ما يغار عليه :

والذي يستوجب غيرة المؤمن : دينه بكل ما تحت هذا اللفظ من قضايا ، ودمه وماله وعرضه ، وجواره ووطنه وارضه .

وقد حرم الله الاعتداء على ذلك كله ، وأوجب حمايته والحمية له ، ولقد كانت خطبة الوداع التي تحمل أحر ما حملت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم قانونا حادا للمؤمنين في ذلك : « كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه » رواه مالك والبخاري ومسلم .

كما جعل القتل دون عزيز من هذه الغوالي شهادة تنال بها الجنة : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » ؟ الامام احمد عن سعيد ابن زيد .

وليستقيم حال المجتمع على هذا السمو ، حرم الله ورسوله كل وسيلة تؤدي الى نقض البناء بنقض طهره ، فقال تعالى : **(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** الاسراء/٣٦ في معلمة اوامر ونواه من هذه السورة تنير السبيل وتشفي الغليل ، وقال جل علاه : **(يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)** ٥٩/الاحزاب .

كما أمر تعالى بغض البصر واتقاء المحارم ، وكرر رسوله التحذير في صور متعددة منها : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِجْلُ زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه : واللفظ لمسلم .

وقد امر صلى الله عليه وسلم نساءه ان يحتجبن امتثالا لأمر الله بالحجاب إذ قدم ابن ام مكتوم كفيف البصر ، قالت ام سلمة الراوية : يا رسول الله ، أليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال منكرا عليها عدم ادراكها لمغزى الأمر بالحجاب : « أفعميا وان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟» رواه احمد بل نهى ان تنظر المرأة الى عورة المرأة او تفضي اليها في الثوب الواحد ، لأن ذلك مظنة ان تصفها لمن يفتن بها !

وليس أدل على هذه الغيرة الشريفة لديه ، من انه قد هم ان يفقأ عين رجل بمشقص كان في يده ، لأن الرجل قد اقحم عينه من ثغرة في الجدار ينظر ما وراءه . وانه نفي المخنث خارج المدينة لكليمات قالها ، مع علمه ألا إربة له في النساء ، وبعث عليا ليقتل قريبا لأم المؤمنين مارية كان يزورها صلة للرحم ، فلما رأى الرجل السيف لامعا وعليا قاصدا اسرعت به فطنته ليكشف عن نفسه فاذا هو أجب لا شيء له ، فكف عنه وأخبر النبي ما

رأى ! (تاريخ الطبري ٣/١٧٢).

كما حرم خلوة غير المحارم ، وسئل في الحم فقال : انه الموت ! وحرم ان تخرج المرأة متعطرة ولو كان خروجها الى المسجد وشدد في ذلك ليدرأ عن امته الفتنة . لقى ابو هريرة امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها اعصار ، فقال : يا أمة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : اني سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقبل صلاة امرأة تطيبت للمسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة » ١/٨١٥ : جمع الفوائد بلفظ ابي داود .

وطن المؤمن :

واما وطن المؤمن فقد اوجب الله القتال غيرة عليه أن ينال ، ودفاعا عنه ان ينتهك ، لأن في البلادة عن حقه انتقاصا لأرض الايمان ، واضعافا لشوكته ، وتضرية للطامع ، وانحطاطا بالنفس عن منزلة حشرات الارض التي لا يسلم من حماتها من يعتدي على جحورها ، ومن اجل ذلك ظل شعور النبي والمهاجرين مشدودا الى مكة التي أخرجوا منها ، حتى عادوا اليها فاتحين منتصرين ، بعد حروب متكررة من حين الى حين ! وقد نهى الله المؤمنين عن بر من اخرجوهم من ديارهم والاقساط اليهم ، تنويها بحق الوطن واغراء ببغض المعتدين عليه ، الى ان تمكن الفرصة لاغتصاب الحق السليب !

قال تعالى : (**واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**) ١٩١/البقرة .

وقال : (**إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) ٩/الممتحنة .

الجوار :

واما الغيرة على الجار فهي غيرة على النفس ، لأن من وصل اذاه الى جارك دون غيرة منك ، فما بقي بينه وبين الوصول اليك من حجاب ، وما زال جبريل يوصي النبي بالجار حتى ظن انه سيورثه !

قال تعالى : (**وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب**) ٣٦/النساء. وقال معلم الناس الخير : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره » بلفظ مسلم عن ابي شريح .

وقال : « خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » ١٥١ : رياض الصالحين عن ابن عمر .

غيرة الازواج :

وغيرة كل من الزوجين على صاحبه هي وليدة الحب ، وهي غيرة « محمودة » اذا اعتدلت ، لأنها تولد الحدب على حفظ كيان المنزل السعيد ، ولكنها تنتقل من ذلك البرج الرفيع الى

منزلة ادنى كلما تطرفت ، وعندما توهنها الظنة ويطوف عليها خيال الارتياب والشك ، الى ان تصبح خرابا وهدما ، ولم يسلم من الغيرة القائمة على شدة الحب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ام المؤمنين عائشة اشد نسائه غيرة من سواها ، وكان بعض نسائه لما يرين من منزلتها لديه تتحرك نفوسهن لذلك ، وقد دفعت غيرة بعضهن من بعض رسول الله الى هجرهن ، حتى رده الوحي اليهن ، وخاطبهن الله في تلك القصة مبينا ان ما صنعت حفصة وصاحبتها امر يستوجب التوبة ، فقال : (**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**) ٤/التحريم .

وكانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ازاء هذه الالوان من الغيرة تمام الحكمة وكمال الأناة ، فلم يزد اذ كسرت عائشة قصعة صاحبتها وفيها الطعام على ابتسامة كريمة ، وقوله لاصحابه : « كلوا فقد غارت امكم » رواه البخاري بعد ان ضم بيديه الفلقين على الطعام ، ولما ادركت ام المؤمنين سرعة استجابتها لصوت الغيرة سألته عن كفارة ما اتت قال غير منتهر : اناء باناء وطعام بطعام ! ولو أنه فعل ما نأتي اليوم من الضرب والتسفيه لما كان المثل الاعلى لامته وللناس اجمعين ، وهو القائل : خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي » رواه ابن عساكر والموصي بهن في اخر ما ودعت به انفاسه الدنيا ، لما علم من ضعفهن وحاجتهن الى الصبر عليهن وانهن عوان عند الرجال ! ان الاناة والتبين قبل النزوع بالاذى امر فرضه الله ، حتى لا ينفصم عقد الزوجية المحكم بظنة كاذبة او وشاية خائنة حاقدة : (**يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**) ٦/الحجرات .

المذموم من الغيرة :

ولكن الغيرة ـ كما جاء في النص السابق ـ منها المذموم ، الذي لا يرضاه الله ورسوله وهو كل غيرة أدت الى نزوع محرم ، وأول من ارتكب هذا النزوع الآثم ابليس ، الذي أبى أن يطيع أمر ربه بالسجود لآدم ترفعا وحمية آلت الى الحقد والحسد ، فقال يعلن غيرته الآثمة وترفعه المشين : (**لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**) الحجر/٣٣ . وقد حمله العمى الى أشد الحمق بجرأة التحدي فقال : (**لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**) النساء/١١٨و ١١٩ ، ثم كانت على الأرض غيرة قابيل من هابيل : (**اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**) المائدة/٢٧ فلم يلبث أن نزع الى ما سول لنفسه الشيطان : (**فطوعت له نفسه قتل**

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) المائدة/ ٣٠ .

وعلى هذا النمط المذموم كانت غيرة أبناء يعقوب من يوسف : **(اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)** يوسف/ ٨ ، فآل بهم الأمر الى ما هو معروف . وما قص علينا الله في أحسن القصص هذا ومثله الا لنتخذ منه العبرة ، ونهذب السلوك ، ونضبط بزمام العقل في اطار الشرع هذه النفوس أن تنزلق في ركاب الشيطان عدو البشر !

حمية الجاهلية :

والغيرة على القبيلة والأسرة ورابطة الدم بلا حق غير التعصب الأعمى لا يحبها الاسلام ، ولا أدل على بغضها من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها نهيا منفرا منها أشد التنفير ، فقال لأصحابه عندما وقع أمر مبين بين اثنين منهما ، فنادى كل منهما قومه : « دعوها فانها منتنة » اذ أنها دعوة جاهلية واحتكام الى نزعة شر أبطل حمقها الاسلام ، لأن فيها سلاح هدم للأسرة الكبرى التي لا يصان صرحها بغير الوئام وصحة العقل والسلامة من الفرقة ، وما أكثر ما جاء في هذا من آيات الله والحكمة ، أمرا بالعفو والصفح وحثا على التحاب والصلح ، واقامة الأحكام على العدل الذي يبرد القلوب ويدرأ الفتنة .

والمؤمن أخو المؤمن عليه أن ينصره في كل حال على سنن العدل غير جائر ، وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما ! فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره اذا كان مظلوما ، أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه – أو تمنعه – من الظلم فان ذلك نصره «رواه البخاري عن أنس » .

وقد ندد الحق بحمية الجاهلية ، التي جعلها الكفار في قلوبهم بالباطل ليمنعوا المؤمنين عن العمرة ، فأذلهم الله بالفتح مرغمة أنوفهم – قال تعالى : **(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما)** الفتح/ ٢٦ .

واتقاء لهذه الغيرة المسخوطة هدد النبي صلى الله عليه وسلم أشد التهديد من يحفرون القبور ليعظموا العظم الرميم بالافتخار به والانتساب اليه ، قال :«لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه !! ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي ! الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من التراب » رواه الترمذي عن أبي هريرة .

الشرف الذليل :

ويلحق بذلك الغيرة على الشرف

الذليل الكاذب والمنصب الخادع والكرامة المدعاة وهي تنزع بالمرء الى الكبرياء التي هي رداء الله من اتصف بها نازع الله رداءه فأذله الله ، وما أروع عدل الاسلام بين من يرى لنفسه الشرف الكاذب وبين من لا يرى له نصيرا الا الله ، الذي أوجب على الحاكم أن يسوى بينهما في الوقوف أمامه ، وأن ينتصف للمظلوم حتى من نفسه !

هكذا أنصف ضعيفا عمر من ابن حاكم مصر عمرو بن العاص ، الذي ضربه قائلا : أنا الابن الأكرمين ، فقال عمر وقد جيء بهما معا : اضرب ابن الأكرمين ! ليعلم الناس احترام قول الله : **(وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به)** النساء/٥٨ .

وما أروعها حين أمر صغيرا من المسلمين أن يلطم جبلة بن الأيهم الأمير المتعظم قصاصا ، اذ لطمه الأمير حمية لكبريائه وقد وطئت قدمه عفوا طرف ردائه ، فما أسف عمر وقد حقق عدل الاسلام لارتداد الأمير عن الاسلام !

ان المثل الأعلى للأمة هو نبيها الأمين ، الذي أقام عدل رسالته على نفسه فأقاد منها ، لتسير أمته على منهاج سنته !

عن أسيد بن حضير أن رجلا من الأنصار كان فيه مزاح ، فبينما هو يحدث القوم يضحكهم ، اذ طعنه النبي صلى اله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده ، فقال : اصبرني يا رسول الله ، فقال : أصبر ! قال : ان عليك قميصا وليس علي قميص ! فرفع صلى الله عليه وسلم قميصه ، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ، فقال : انما أردت هذا يا رسول الله .. ١/٤٠٤ ـ جمع الفوائد .

وفي سنن الدارمي (١/٣٥) عن رجل من العرب قال : زاحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها رجله ، فنفحني نفحة بسوط في يده ، وقال : بسم الله أوجعتني ! فبت لنفسي لائما أقول : أوجعت النبي صلى الله عليه وسلم ، فبت بليلة كما يعلم الله ! فلما أصبحت اذا رجل يقول : أين فلان : قلت : هذا والله الذي كان مني بالأمس ! فانطلقت وأنا متخوف ! فقال لي صلى الله عليه وسلم : انك وطأت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني ، فنفحتك نفحة بالسوط ! فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ! رجاله رجال الصحيح

وحقا ما قال معلم الناس الكرامة والخير ؟ « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ! «رواه الترمذي عن كعب بن مالك » ان الحرص المذموم على المال يذل أعناق الرجال ، والحرص المحموم على الشرف ينبو بالمرء عن صفات الكمال !

الغيرة من الحلال :

ومن الغيرة المقوتة والحمية الحمقى أن يغار ولي للمرأة من زوج تعاشره ، اباء بالكرامة المدعاة أن

تهدر ، فاذا وقع ذلك كان مقهورا عليه مغتما به ، وتلك سيما الجهل بسنة الحياةوشريعة الرسل التي جاؤوا بها من عند ربهم ، لتمتد أعراق البشرية على أساس من الطهر ، ولتقوم خلايا المجتمع على وشائج من القوة والتماسك الأسري والمحبة والتعاون والرحمة وما أحكم ما قيل : « جدع الحلال أنف الغيرة » .

وليس هذا الذي ولد من أبوين بمثل هذا الزواج المشروع ، أشد غيرة من الله ورسوله ، وقد جاءت كتبه تعالى ترغب في هذه السنة وتضع لها الحدود القائمة التي تحفظ الحقوق وتعمر الوجود وتعلي حقيقة الانسان عن انطلاق الحيوان .

مثل هذا الغر المتأبي على عفاف الشريعة وحكمتها ، اما قاتل لمحارمه من النساء بالكبت والحرمان ، وأما قاتل من يمد يده اليهن ليحصنهن ، وأما قاتل نفسه بالغضب عليه والدس له انتقاما منه ؛ لأن الغريزة لا تموت وان علتها الأسوار وقد ضرب الله مثلا شعيبا وموسى عليهما السلام اذ عرض عليه ابنتيه قائلا : **(اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين)** القصص/٢٧ كما ضرب لوطا عليه السلام مثلا اذ قال لقومه : **(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم)** هود/٧٨ وعرض الولي من ولاه الله عليهن للزواج رغبة في اعفافهن أدنى درجة من أن يطلبهن راغب ، فلو كان فيه وهم العيب ما صنعه نبي مرسل !

وقد نهى الله الأولياء والأزواج المطلقين عن العضل مهما يكن سببه ، فقال تعالى : **(فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف)** وبين ان ذلك موعظة منه للمؤمن الذي يرجو ثوابه ويخشى عقابه لما فيه من الطهر وزكاة الروح من الاسفاف : **(ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢٣٢ .

وقد زوج رائد الأمة وامامها على تلك الشريعة الغراء بناته الزكيات الطاهرات ، فأعطى عليا فاطمة التي هي بضعة منه ، وأعطى عثمان رقية وأم كلثوم واحدة بعد أخرى ، وهو الذي لا أعلى منه غيرة الا الله ، وقد أوصى أمته أن يفعلوا كما فعل ، وألا يربأوا بأنفسهم عن نفسه . قال صلوات الله وسلامه عليه :

« اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ١/٥١٧ جمع الفوائد .

« النكاح سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ... » رواه ابن ماجه .

وقد بين الله تعالى ان الرهبانية مبتدعة تعارض سنة الحياة وان الذين ابتدعوها لم يستطيعوا أن يرعوها فكان كثير منهم فاسقين ولو كانت خيرا لكتبها الله على الناس .

ان شريعة الله طاهرة سمحة مواكبة للحياة ، لا تخنق العقل ، ولا تقتل الفطرة ، نزلت من السماء لتزن سلوك الانسان بعنوان أنه انسان ! فمن ترفع بنفسه عن ما شرع له من الخير ربه فهو من الهالكين !!

غيرة العشق :

هذا لون آخر من الغيرة الممقوتة : غيرة العاشق على المعشوق أن يلم به غيره ، تلجئه الى اخفائه من طريقه أو اخفائها هي بارتكاب الجريمة الشنعاء وقد وقع قديما ويقع حديثا ما يعجب له العقل من غريب الأحداث ومما نقل الينا غيرة ديك الجن الشاعر على صاحبته التي قتلها ثم راح يرثيها بأفدح الدمع في أحر الرثاء ؟

روبت من دمها الثرى ولربما
روى الهوى شفتي من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها
ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي اذا سقط التراب عليها
لكن بخلت على العيون بحسنها
وشفقت من نظر العيون اليها

وما أشقى من أهدر العقل فهام في مسارح الشيطان !

وان من الأسى المعتصر للقلب أن يطالعنا الاعلام ليلا ونهارا في الصحف والاذاعة والتلفاز كدور الملاهي ، بالمئات من قصص تلك الجريمة ، والى أن يأتي الشباب منها مكان العبرة في الخاتمة يكونون قد تشبعوا بالمقدمات الداعرة والأساليب الفاتنة فتذهب العبرة هباء وتسكن الفتنة ، لأنها أعلق بالنفس وأشهى للهوى ، جريا حثيثا وراء اناس جرفهم السيل الى حفائر العفن لا يعنيهم من أمر الآخرة ما يعني المتقين أولى النهى ، الذين علت بالايمان قلوبهم ، وزكت بالخوف من الله أرواحهم ، فرفعوا في الأرض بيوتا اذن الله أن ترفع ، ومحوا من الأرض ظلاما أذن الله أن يمحى ، فعاشوا بعد ذهابهم في ضمير التاريخ خالدين ، وفي جنات النعيم مخلدين **(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)** الاسراء/١٩ .

خاتمة :

ان الغيرة على الدين فرض واجب ، وان كل غيرة حث عليها الدين فرض واجب ، وان الحال التي عليها المسلمون اليوم في ديارهم من فاحش الأزياء وانطلاق الأهواء ، وان هذه الوسائل الثقافية المنتشرة باسم الترفيه والترشيد ، مما أخرج الشيطان على يد المفتنين في الابتكار والابداع ليحولوا بين المرء وعقله ، وبين المرء وحكمة السلوك الى الخير واعلاء الضمير ـ ان كل ذلك لفي أشد الحاجة الى غضبة لله ، غيرة على قدس ضاع ، وأرض انتهبت ، ودماء أهدرت وشعوب مزقت ،وصلف أعداء في كل بقاع الأرض كانوا أمامنا لا شيء ، فصاروا أمامنا كل شيء وبتنا أمامهم .. لا شيء !

والله غالب على أمره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .



ما أعظم حضارتنا الاسلامية وما أرفع تراثنا وما أسمى نظمنا الحكيمة وتشريعاتنا الرائدة في مجال القانون والادارة والاقتصاد والدبلوماسية التي كانت قبسا لأوربا ونهجا يقتدى به في تنظيم شئون الحكم على مر الأجيال ، وكانت الخطوة التي فتحت أفاقـا جديدة في ميادين الثقافة في العصور التالية .

وما أن تأسست دولة الاسلام في المدينة حتى قام الرسول النبي العربي بارساء قواعد الحكم على أسس من الكتاب المبين وعلى أساليب لم يألفها العرب من قبل .

واذا تحدثنا عن المجال الدبلوماسي كان لزاما علينا أن نذكر بفخر أول رسالة أو بمعنى أصح أول سفارة الى هرقل ملك الروم تعبر عن سمو في الفكر السياسي الدبلوماسي تقول « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد :

فاني أدعوك بدعوة الاسلام ، أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين . »

دعوة صريحة الى السلام ، يبعثها نبي يوحي اليه ، ويرسلها لملك الروم الذي وصفه بعظيم الروم يطالبه بأن حسن الجوار أمر مطلوب وأن دعوة الاسلام ما هي إلا دعوة للسلام .



للأستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز

وكانت هذه الدعوة الرائدة قبسا وهديا للخلفاء الراشدين أولا ولمن أتى بعدهم من الحكام لأن يتخذوا الاسلوب الدبلوماسي في معاملتهم لجيرانهم الروم .

وإذا كان التمثيل السياسي بين دولة الاسلام ودولة الروم لم يتم أو لم يتم تبادل السفراء الا ان الأمر تبدل فيما بعد ، توسعت دولة الاسلام ايام الخليفة عمر بن الخطاب حيث تجاورت املاك الدولتين بعد فتح الشام ومصر ، وزاد توسعها ايام بني أمية فضلا عن اتخاذ دمشق حاضرة للدولة العربية وقربها من بيزنطه عاصمة الروم الشرقيين ووجود استقرار سياسي بعد انتهاء التوسع أو وقوف مد الفتح بعد أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموي ، لكن الأمر تطور الى ابعد الدرجات إثر انشاء الدولة العباسية وانفصال الاندلس تحت زعامة امير أموي عن الدولة الأم في بغداد وأصبح التنافس بين بغداد وقرطبة دافعا للتحول الجديد ولمحاولة الخليفة العباسي توطيد علاقته بدولة الفرنجة في فرنسا وعمل خليفه قرطبه على توثيق علاقته ببيزنطه التي تجاور منافسيه العباسيين ، وتبادل الخليفه المهدي السفارة مع الفرنجه ووطدها هارون الرشيد بسفارته المشهورة الى الامبراطور شارلمان وتبادل الهدايا معه .

اغراض الدبلوماسيه

لم يقتصر التمثيل الدبلوماسي بين بغداد والفرنجه أو بين قرطبه وبيزنطه على التمثيل السياسي للسفراء بل شمل اهدافا ثقافية واقتصادية كما هو الحال في النظام الدبلوماسي الذي يسود العلاقات بين بلدين فكانت السفارات ترسل لتحمل التهنئة بالحاكم الجديد أو زواجه أو لأعمال تجارية أو أهداف ثقافية يسعى كل من

الطرفين على تنميتها .

ومن السفارات المشهوره الرسالة التي بعث بها امبراطور الروم ثيوفيل عام ٨٢٩ الى الخليفه العباسي المأمون يعلن فيها موافقته على تبادل الاسرى واعادة الحياه الاقتصادية بين الدولتين .

« قد كتبت اليك داعيا الى المساله راغبا في فضيلة المهادنه لتضع الحرب اوزارها ويكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا مع اتصال المرافق والفسيح في المتاجر وفك المستأسر وأمن الطريق » وكان رد الخليفه المأمون ايجابيا حتى تعود الحياه الطبيعية بين البلدين الجارين ، ويسمح لحاملي الرسائل بزيارة معسكرات الاسرى للتأكد من حسن المعاملة ومعرفة اعدادهم .

اتخاذ الدولة الاسلامية احتياطات لمنع التجسس :

كانت الدوله الاسلامية على دراية تامه بالأصول الدبلوماسيه والأغراض التي ربما يستغلها السفراء والمبعوثون وقد حفظت لنا الوثائق والمخطوطات بيانات مفصله على احوال الدولة البيزنطيه وطرقاتها ومعاقلها ومرافقها الهامة وساعدت هذه التقارير والمعلومات على تبادل التجارة وخدمة الأغراض الحربية .

ويتضح من التعليمات التى اصدرتها الدولة الاسلامية ادراكها للنوايا التي قد يقوم بها البعض من محاولة التجسس على المؤسسات العسكرية وهذا نص يؤكد هذا « يجب أن يعلم أن الملوك بارسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رساله أو نقل سفاره فقط بل هناك مئات الاغراض يبغونها فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطريق .. ويعلموا اذا كانت معبدة تستطيع أن تمر بها والامكنه التي توجد بها المروج والأعشاب وأن يعلموا قوة الجيش ومؤونته في العدد والعتاد وفي الدفاع والهجوم وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير وبمن يجتمع وأن يدركوا تنظيمات بلاطه وعاداته وأخلاقه في عدله وظلمه وسهره ، وكرمه وهل هو متعلم أم جاهل وهل ازدهرت مملكته بالعمران وهل رضى عنه جنده أم هم مغضبون وهل اتباعه من الفقراء أو الاغنياء ، وهل يجد في شئون مملكته أو يهملها ، وهل هو بخيل أو جواد ووزيره قادر أو عاجز وحاشيته من العلماء الاذكياء أم لا ، وماذا يحب وماذا يبغض ؟ وهل يميل الى الحب والى النساء حتى اذا رغبوا في مهاجمة مملكته أو أرادوا نقض خططه كانوا مطّلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوىء نصب أعينهم ينهجون بحسبها » .

أليست هذه الرسالة ادراكا عميقا لدور السفراء القادمين من الخارج

أو ليست هذه فطنه عسكريه وحنكه سياسيه ومهارة في اسلوب المعاملة ليتسنى لاجهزة الدولة وموظفيها ان يكونوا يقظين واعين مدركين لدور السفراء وخطورة اعمالهم اذا حاولوا أن يعرفوا قوة الجيش وضعفه وعدد قواته وانواع السلاح واماكنها .

السفارات الثقافية :

أعطت الدوله الاسلامية العلاقات الثقافية أهمية خاصه وكانت مهمة المبعوثين الثقافيين أشبه ما تكون بمهمة المستشار الثقافي الآن حيث يعمل على تبادل العلماء والاساتذة والبحوث والابتكارات والمؤلفات والعلوم النادرة كالرياضيات والمخطوطات وزيارة الاماكن الأثرية فقد طلب السفير العربي ببيزنطه أن يزور مدينة أفسس التي يقال ان بها الكهف الذي حُفظت به جثث الشهداء السبعه الذين استشهدوا ايام الامبراطور الروماني « دقلد يانوس » وقد لبى الامبراطور البيزنطي طلبهم وزار المبعوثون المدينه وشاهدوا الكهف وكان من بينهم محمد بن موسى المنجم الذي وصف جثث الشهداء التي كانت محنطه .

اختيار السفراء :

كان الخلفاء هم الذين يقومون بمهمة اختيار السفراء بأنفسهم الذين كان يجب أن يجمعوا بين العلم والنسب العريق والكياسه والحنكه السياسيه والوسامه والفطنه والذكاء والمرونه الى جانب الفصاحه والحلم وبُعد النظر والحزم والبصيرة النافذه والثقافة العامه (ينبغي أن يكون على علم بالفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذى مثال من سلف فيما يورده ويصدره ويعلم أصول الخراج ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه) . ووصف الشاعر يوضح كيف يختار السفير :

ان الرسول مكان رأيك فالتمس   للرأي آمن من وجدت وأنصحا
تأبى الأمور على الغبي فان سعى   فيها الذكي فبالحرى أن تصلحا
فاذا توخيت الرسول فلا تكن   متجوزا في أمره متسمحا

اوراق اعتماد السفير :

حرصت دولة الاسلام على تزويد سفرائها بأوراق اعتماد وجواز سفر وتتضمن أوراق الاعتماد كتابا صادرا على لسان الخليفه به تعريف بالسفير وهدف

رسالته مع طلب باعتماده وتكتب الاوراق بلغة الدولة التي يوفد اليها السفير بخط جميل وعلى ورق خاص مصقول وكان السفراء يعطون الأمان (الحصانه الدبلوماسية) طول مدة اقامتهم كما يحترم حاشية السفير واتباعه على اختلاف درجاتهم .

مراسيم استقبال السفير :

يحاط السفير بالاحترام والحصانه الدبلوماسية والأمان منذ أن تطأ قدمه أرض الدولة الاسلامية لأن السفير يتكلم باسم الدوله التي جاء منها فوجب إكرامه واحترامه ففي هذا تكريم لرئيس دولته ويقدم للسفراء منذ دخولهم حدود الدولة كل ترحيب واحترام وينزلون في مساكن فخمه تليق بمكانتهم وتقام لهم المآدب والحفلات وبعد أن يصل العاصمة يأخذ قسطا من الراحه ثم يقصد الى الوزير (وزير الخارجية) ويقدم تقريرا عن مهمته وفي اليوم المحدد لاستقباله عند الخليفه يستقبل على باب القصر استقبالا رائعا بين صفوف الجند الذين يصطفون لتحيته حتى يصل الى قاعة العرش ويستقبله الخليفه ويتبادل معه الاحاديث الوديه .

تقارير السفراء :

كان نظام التقارير معروفا ومعمولا به أيام العباسيين الذين احسنوا اختيار سفرائهم ممن يتصفون بالمواصفات المطلوبه للسفير من اللباقه والحنكه السياسيه والمهاره والعلم والخبره ، ومن هؤلاء النخبه المشهوره نصر بن الازهر الذي أوفده الخليفه المتوكل العباسي الى بلاط امبراطور بيزنطه . فدخل قاعة العرش في أبهى حلة يرتدي سيفه وخنجره وقلنسوته وبدأ يقدم نفسه ويعلن مهمته وطلب من المترجم ان يكون دقيقا في الترجمه وأعدت له الدوله البيزنطيه برنامجا حافلا بعد اتمام مراسم استقباله زار فيها ميدان السباق ليشهد المباريات والفنون الشعبية ثم جرت المفاوضات الخاصه بتبادل الاسرى التي تكللت بالنجاح وذلك بعقد معاهدة عدم اعتداء وسجل السفير الاسلامي نصراً دبلوماسيا كبيرا بتحسين العلاقات الدبلوماسيه بين البلدين وعند عودته قدَّم تقريراً مفصلا عما شاهده وعن اسلوب معاملة الاسرى ونسخه من المعاهده التي تم توقيعها .

وهكذا اثبتت دولة الاسلام بنظامها السياسي والدبلوماسي أنها كانت رائدة في هذا الميدان كما كانت رائدة في ميادين الفكر والعلم مما سجلته الاحداث التاريخية والوثائق النادرة التي تؤكد نبوغ رجالنا ممن أسهموا في بناء صرح دولة الاسلام وفق أعرق النظم وأدقها .



للدكتور / عماد الدين خليل .

جمعتني إحدى المناسبات بصديق قديم .. ورحنا نتجاذب اطراف الحديث ريثما يحين موعد تناول العشاء .. وتذكرنا المناقشات الحامية التي كانت تشتعل بيننا لسبب أو آخر قبل اكثر من عشرين سنة يوم كانت جمرات الصبا والشباب تحرقنا بنارها اللذيذة ، فكان شررها يتطاير في كل ما نقوم به ونمارسه .. وكان لمناقشاتنا نصيب من الشرر المتطاير كرشاش الماء قلت : لا أعتقد أننا الآن سنشعل نارا .. فالفكر الجاد هو الذي يضيء ..
ولكن ..

قال مقاطعا : ولكن ماذا ؟

أجبت : اذا اقتضى الامر فانه يتوجب عليه ان يحرق .. ولن يستطيع احد يومها أن يفصل بين النور والنار ..

قال مبتسما : أرجو الا يصيبني الحريق ، أنا على الاقل .

قلت : لن يصيبك باذن الله ، ما دمت قد انتزعت من نفسك كل ما يمكن أن يكون وقودا للنار ..

ما لبث أن راح ينشد باحثا عن مكان ما من المنضدة يمارس عليه الايقاع بيده :
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   اياك اياك أن تبتل بالماء ..

وأنت تريد أن تخلصني من الحريق .. والوقود قد وضعه الله في كياني مذ أمر بخلقي .

قلت : ها قد عدت الى « بيتك » المفضل القديم .. أتراك لا تزال تعزف عليه ؟

قال : وسأظل حتى أجد البينةً التى تمنحنى القناعة ..

سألته : اتراك قرأت كتاب الله مرة واحدة في حياتك ببصيرتك لا بعينيك ؟! لن انتظر جوابك المعهود فانا متيقن من انك لم تفعل .. وعشرات .. بل مئات غيرك ، لم يفعلوا .. ولذا فهم يترنمون دوما بأبيات كهذه يبررون بها عجزهم وقصورهم .. انك لو قرأت كتاب الله بعقل مفتوح ، فانك ستجد ان معظم آياته تؤكد على الموقف التالي : ان الله سبحانه لا يطبع على قلب انسان ويختم على مصيره بالكفر او الايمان الا بعد علم مسبق بتكوين هذا القلب وطبيعة نبضه كما ونوعا وهذا التكوين المسبق ليس أمرا مجبرا عليه الانسان ، بل هو ثمرة اختياره الحر المتأثر بظروفه البيئية والوراثية .. ومن ثم فان اصرار القرآن على أن يكون المجتمع المسلم خاصة ، أو أي مجتمع مؤمن عامة ، ملتزما ايجابيته العقائدية وموقفه الايماني الحركي الصحيح ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، واقامة لحكم الله في الارض معناه السعي الجاد لايجاد البيئة والارضية والمناخ التي تتيح لاكبر عدد ممكن من الناس والجماعات ان تتفتح قلوبهم للحب والايمان والخير ، وان تمتلك افئدتهم القدرة على التعامل الفعال مع شريعة الله ، لكي يصوغوا وجودهم ومصيرهم بما يطمح اليه ويتمناه كل انسان .. ألم تقرأ هذه الآيات : (**قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا**) الاسراء / ٨٤ . (**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا**) الاسراء / ٧٢ . (**من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) الاسراء/ ١٥ (**ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون**) الزمر / ٧٠ . (**ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الأنعام / ١٦٤ . (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان / ٣ . (**وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى**) النجم / ٣٩ ـ ٤١ .

رفض للصراع الدون كيشوتي

وإذ أنست في انصاته متابعة واهتماما واصلت حديثي قائلا : لقد منحتنا الرؤية القرآنية أفضل مركز في الكون واعطتنا مكان السيادة على العالمين ، وفضلتنا على كثير من خلق الله تفضيلا .. ومن خلال هذا المركز والمكانة والتفضيل منحنا حرية الاختيار والفعل لم تمنح لاحد من العالمين ، وجاءت على درجة من الامتداد والتوغل والانتشار بحيث تغطي تغطية كاملة الوجود البشري الحر لاي واحد منا كانسان فرد ، ولاية جماعة في التاريخ كوحدة تشدها قيم ومباديء واهداف .. ولقد أكد القرآن الكريم في اكثر من موضع ، هذه الحرية ، وقدم عشرات النماذج الواقعية لمجالها الواسع على المستويين الفردي والجماعي .. ولكنه كان ينبهنا دائما ، كي لا يفلت الخيط من ايدينا وتتحول مواقفنا التاريخية الى درامات كلاسيكية مصطنعة وصراع « دون كيشوتي » لا مبرر له ، كان ينبهنا دائما الى ان حريتنا الكاملة

المنطبقة انطباقا هندسياً باهرا مع وجودنا افرادا وجماعات ، ما هي إلا دوائر تعمل بتوازن وتناغم وتداخل ضمن الدائرة الاكبر التي يرسمها علم الله الشامل وتحيط بها إرادته التي لا يصدها شيء .. ويعود فيؤكد لنا مرارا أن النتائج النهائية للفعل البشري ـ الفردي والجماعي ـ تجيء منبثقة ، بمنطق عادل لا يعرف زيفا أو التواء ، عن افعالنا ، تحمل طبيعتها وتكوينها وملامحها وتتغذى بعجينتها التي جبلناها نحن ، وتشرب من شرايينها التي سهرنا على مِدّها بالدماء النقية الحمراء أو الكالحة الزرقاء التي تسوّد وتسوَّد حتى لتكاد تحترق فتكون دخانا ..

ويجب الا يخطر على بالك أن القرآن الكريم يبقى مسألة القدر والحرية في نطاق الانسان الفرد ولا يخرج بها عن دائرة التأويلات والزوايا الفلسفية والنفسية والاخلاقية .

ذلك أننا نلتقي ، الى جانب الآيات التي تحكي عن المستوى الفردي ، بعشرات من الآيات والمقاطع القرآنية التي تنتقل الى المستوى الجماعي وتعرض المسألة في صيغها التاريخية والحضارية .. وهي ـ كعادة المنهج القرآني الذي يرفض التجزئة والانفصالية ـ تربط دوما بين الارض والسماء وتتخذهما مسرحا ذا خشبة واحدة عريضة تتحرك عليها الجماعات البشرية لتؤدي دورها ولتكافأ على هذا الدور بما يوازي حجمه ويتلاءم مع جنسه ، هنا في الارض اولا ، ثم هناك في السماء فيما بعد ..

أكثر المواقف عدلا

قاطعني قائلا : ولكني أريد أن أسمع شيئا من شواهدك القرآنية لكي اطمئن الى صدق استنتاجاتك ..

اجبته : هنالك العديد من النماذج القرآنية تطرح علينا المسألة وفق اكثر الزوايا موضوعية وأشد المواقف عدلا وتماسكا ، واوسع الرؤى توغلا في صميم التجربة البشرية ، وهاك بعضا منها : **(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)** النحل / ١١٢ و ١١٣ **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)** الأعراف / ٩٦ .و **(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** المائدة / ٦٥ و ٦٦ . **(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا**

مجرمين) هود / ٥٢ . (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) النحل / ٤١ . (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الجن / ١٦ . (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر / ٥١ . (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون) البقرة / ١٣٤ و ١٤١ .

اننا نرى بوضوح من خلال هذه النماذج القرانيه ـ وغيرها كثير ـ كيف أن أية جماعة أو أمة إنما هي مسؤولة عن فعلها فحسب ، إذ ليس من العدل أن تحمل نتائج أفعال غيرها من الجماعات ، يفصلها عنها الزمن أو المكان ، كما نرى كيف تكافأ الجماعة الواحدة بجزاء يستمد عجينته من بنية التجربة التي تمارسها هذه الجماعة ان خيرا أو شرا .. ومن ثم تجيىء رحمة الله أو يجيىء ختمه على القلوب والاسماع والابصار .. ان الله سبحانه يمنح نعمه التي تنزل وفق النواميس الطبيعية بالقسطاس على الامم والشعوب ، الا أن الجماعة التي تسيء التصرف ، وتطغى وتتجبر ويسوقها الطغيان والجبروت الى الكفر والمروق والتمرد على النظام الكوني ومبدعه ، فان العقاب في الانتظار . واننا لنلمح في اكثر من آية موقفا مغايرا تماما لما عودتنا عليه الرؤى الغربية منذ عهد « اسخيلوس » و « سوفوكليس » وحتى « يونسكو » و « كامي » و « ثكت » .. موقفا لتعاطف بين الله والانسان وغفران الله لكل ما من شأنه ان يصدر عن ضعف الانسان وعجلته واخطائه غير المتعمدة ، ونسيانه .. ودعوة الانسان لخالقه الا يحمله في حياته الدنيا اكثر من طاقته .

وفي آيات أخرى نجد تأكيدا دائما على استمرارية الجزاء على الفعل وتواصله في الارض والسماء ، وثمة آيات عديدة تبين لنا ان من يرد « لاحظ فعل الارادة » ثواب الدنيا فله ذلك ومن يرد ثواب الآخرة فلن يصده عن هدفه شيء .. وكثيرا ما تنتهي الآيات القرآنية في هذا المجال بعبارة (بما كانوا يصنعون) كما نلتقي بالافعال البشرية (أذهبتم) (استمتعتم) واضحة في نسبتها الى الارادة الحرة الأمر الذي يجعل الجزاء عادلا ازاء جماعة أذهبت بارادتها طيباتها واستمتعت بها بغير الحق . وما اكثر ما كانت دعوات الانبياء والمرسلين للجماعات البشرية تجيء لكي تناديهم أن (يختاروا) طريق الايمان لكي يحظوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وما كان لاى من هؤلاء المرسلين ان يلزمهم الزاما بالانتماء الى دعوته إذ (**لا إكراه في الدين**) بعد أن : (**تبين الرشد من الغي**) البقرة / ٢٥٦ .

إن الله سبحانه ما كان ليضرب جماعة ما ، أو أحدا من عباده ، قبل أن يبعث اليهم بالنذير ، ويدلهم على الطريق ، ويعطيهم الفرصة لكي يختاروا بملء ارادتهم أن ينتموا للحق ، أو تسوقهم الشهوات الى التشبث بمواقع الباطل حيث يحق العقاب كجزء من خطة العدل الالهي الشاملة في سياسة الكون كله ..

البرهان في قلوبنا

قال : ان هذا يبدو مغايرا في جوهره للصيغ التي طرحها الغربيون منذ عهد اليونان وحتى القرن العشرين عن العلاقة بين الله وعباده ..

أجبته : بالضبط .. إن القدر في تصورهم ضربة مفاجئة تجيء على حين غفلة لكي تقصم ظهر الانسان ، ودعابة درامية ثقيلة ومحزنة تصور الآلهة وهم يرسمون الخطط الخبيثة لايقاع العباد في الشباك التي نصبت بمهارة .. ان الصورة القرآنية تكتسح في طريقها هذا الغثاء ، لكي تعيد صيغة العلاقة بين الناس واقدارهم الى موقعها الانساني ، المنطقي ، العادل : (**وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) الأنبياء / ١٦ ـ ١٨ .

هنالك ما هو اكثر من هذا ، أن القرآن الكريم يبين لنا بوضوح أن الله سبحانه وضع الحجة والبرهان في قلب كل واحد منا ، وركز الدلالة اليه في فطرة كل انسان لحظة بعثه الى الحياة ، ومن ثم حمّله المسؤولية ، وفق هذا الامتداد الباطني ، في ان يختار ـ بارادته ـ الطريق الذي يقوده الى الله ، انسجاما مع تكوينه الذاتي ومعطياته الفطرية الاساسية .. وبهذا يؤكد الاسلام موقفه الانساني المفتوح ورفضه التام للقدرية التراجيدية القائمة على الغشم والمفاجأة .. هذا التأكيد الذي يجيء وفق تحذيرات واشارات تنبثق من داخل كل انسان كشهادة حرة ـ ابتداء ـ ثم تصدر اليه مرة اخرى من الخارج عن طريق رسل الله : (**وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا إنما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون**) الاعراف / ١٧٢ و ١٧٣ .

من الشك الى اليقين

ورأيت شيئا غير قليل من ملامح الاقتناع والرضا تكسو وجهه وسمعته يرتل مع نفسه : (**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) الروم / ٣٠ .

قلت له وأنا اتقدمه الى غرفة الطعام : ها انت ذا تذكرني بالشاهد الآخر الذي غاب عن ذاكرتي .. وسيجيء اليوم الذي أتعلم فيه منك .. فالذين يرحلون من محطات الشك الى مواقع اليقين يعرفون ـ اكثر ـ كيف يعلمون الآخرين ..

اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير

ألا وحرة في

للدكتور / احمد حسنين القفل

الا موته لله في الحق انفع ... فعيش على ضيم فناء ومصرع
الا ان ايماني بربي خالص ... اذا مت فالحسنى ودار امتع
اذا حانت الاجال ، هل من مؤجل ... لها ساعة ، او ان حذرك ينفع ؟
وهل يمنع المكتوب في اللوح مهرب ... وهل حرصنا يحمي ويجدي ويشفع ؟
ومن مات في الهيجا شهيدا مؤمنا ... وفي نصرة الاوطان يسعى ويسرع
ففي زمرة الاطهار يحشر خالدا ... وفي جنة المأوى يقيم ويرتع
ومن لم يمت بالسيف افناه غيره ... تنوعت الاسباب ، فادكروا وعوا
سلام على الدنيا اذا لم تفز بها ... بمقعد صدق عند ربك يرفع

***

فجاهد فما اجل يقصره القنا ... وليس يطيل العمر ، انك تقبع
اذا صارت الأوطان حلا لغاصب ... فكيف تنام الليل او تتمتع ؟
وكيف تلوك الزاد او تطفىء الظما ... وفي الدار محتل يجوس ويرتع ؟
الا فاقتل « الافعى » لتأمن سمها ... وسارع ، فان بقاءها سيروع
فان جذور الشر فيها تأصلت ... ولا بد ان نجتثها ، ذاك انجع
وقالوا : هي الشيطان . كلا ، فانها ... أضل من الشيطان نزغا وافظع
فابليس ان يعجز يجد في جرابها ... كئوس الهوى حتى الثمالة يجرع

الله يا عرب

فليس لها عهد اذا عاهدنها فيشمتها غدر وزور مبرقع
تصيح : اريد السلم والسلم عندها حراب ، وصاروخ ، وجند ، ومدفع
ودبابة تفري ونار سعيرها يدمر امن الناس ظلما ويفزع

***

ومن سوء حظ العرب ان عدوهم بلا شرعة في ارضهم يتوسع
وما هو جبار ولكن خلفه حليف كوحش الغاب لا يتورع
جزى الله « امريكا » شرورا فانها تصلي لاسرائيل قهرا وتركع
تظاهر اجراما وتحمي عصابة وتسعى الى ظلم الشعوب وتهرع
وتنكر حقا واضحا دون رحمة وتصبو الى نصر الظلوم وتخضع
فذا « مجلس للأمن » يَنْدى جبينه لأحكامه تبكي هوانا وتدمع
تخالف « اسرائيل » عمدا نصوصها وها هو من وقر بدا لا يسمع

***

ايا شعبنا العربي في كل بقعة من الارض ، هيا نمحق الظلم ندفع
الم يأن ان نرعى مصيرا موحدا تعالوا على حق لنا نتجمع ؟
الم يأن ان نشفى من الغل صدرنا فنسعى الى سحق العدو ونسرع ؟
نشل يد العدوان ، نصليه بأسنا ونسقيه كأسا بالندامة يترع

ونسكت صوت الافك دوما وسرمدا ونحيي « فلسطين » الحبيبة نرجع
هلموا : فان الوقت حان لتؤمنوا بشورى ورأي بالاصالة يقنع
انقعد صرعى للهواجس بينما عدو لنا في ارضنا يتوسع ؟
انغمض جفنا سادرين عن العدا وجيش لهم في ارضنا يتربع ؟
اليس حراما ان نموت من الظما واعداؤنا من مائنا العذب تجرع
اليس حراما ان نبيت على الطوى وكلب العدا من خبزنا صار يشبع ؟

***

« وامريكة » و « الروس » قرقرارهم على ضربنا سرا . كفانا الادمع
ارى عصرنا عصر القوى ولا ارى لحق على ضعف ظهيرا يرفع
فعدل بلا درع هراء وغفلة وحق بلا جند سراب يخدع
بحقك لن تحظى بحقك كاملا اذا لم يؤيد حقك اليوم مدفع
اذا ثرت في ضعف فحقك ضائع وعدلك في عرف المضلين اضيع
ارى الناس يولون القوى مهابة وصاحب حق هائما يتوجع

***

الا وحدة في الله يا عرب انما اضاع التفرق عزكم فتجمعوا
فشاردة الاغنام للذئب لقمة وعود من العيدان للكسر اطوع
الا هبة يا عرب في وجه غاصب اذ يقوه درسا في التادب يرئع
فلستم غثاء ترتضون مهانة لامجادكم في الدهر شان وموضع
ولا بد من يوم يؤمن حقكم اذا لم يكن بالعدل فالسيف اقطع .

***

اذا شاءت الاقدار هذا الذي جرى قليل سيتلوه النهار ويطلع
تراها دروسا يستفاد بضوئها وبالسم قد يشفى المريض ويبرع
ورب شقاء حقق السعد بعده ورب انهزام بعده النصر يتبع

ومن ينصر المولى يجد ان جنده تنزل من فوق السماء وتتبع
الهي رجونا فاستجب لرجائنا فانت النصير اليك وحدك نضرع
الهي دعونا فاستجب لدعائنا فانت القريب تجيب دعوة من دعوا



قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يشتعل غيظا :

ـ يا ابا بكر .. ، اليس برسول الله

فأجابه ابو بكر رضي الله عنه ، بهدوئه المعتاد :

ـ بلى

قال عمر :

ـ اولسنا مسلمين

قال ابوبكر :

ـ بلى

قال عمر :

اوليسوا بالمشركين

قال ابوبكر :

ـ بلى

لم يستطع عمر كتمان غضبه في هذه الحال فصرخ باعلى صوته :

ـ علام اذن نعطي الدنية في ديننا

لكن ابا بكر ، بقي محافظا على هدوئه فقال :

ـ يا عمر .. الزم امره .. انني اشهد انه رسول الله

هدأ عمر قليلا وقال والحسرة ما تزال تأكل قلبه :

ـ وانا اشهد انه رسول .

حين يغضب ابن الخطاب .. لا يدرى ماذا يفعل .. يشعر ببعض الحيرة .. ويحتكم الى السيف دائما .. لكنه الان في موقف من اشد المواقف واصعبها .. ماذا يفعل ؟ هل يسكت؟هل يستسلم ؟ ابدا عمر بن الخطاب لا يسكت على خطأ حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ارتكب هذا الخطأ .

اندفع عمر الى رسول الله وهو ما يزال يتفجر غضبا ودار الحوار السابق بينه وبين ابي بكر :

ما هذه الاجوبة المختصرة . هذه الكلمة التي لم يسمع غيرها من ابي بكر ومن النبي صلى الله عليه وسلم لا تشفى غليل عمر فقال بغضب ظاهر :

ـ علام اذن نعطى الدنية في ديننا ؟

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام باستسلام المؤمن بقضاء ربه :

ـ انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف امره ولن يضيعني .

ترى هل تكفي هذه الكلمات القليلة .. هل تكفي قلبا متفجرا كقلب عمر ؟ وعقلا حائرا لا يحتكم لغير السيف .. الله وحده اعلم .

« ٢ »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ـ اكتب يا علي

قال علي :

ـ ماذا اكتب يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم

هنا تدخل رسول قريش سهيل بن عمر غاضبا وقال :

ـ لا اعرف هذا .. اكتب باسمك اللهم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب باسمك اللهم .

فكتبها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب :

قال سهيل بن عمر :

ـ ماذا يكتب

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر

لم يستطع سهيل بن عمر كتمان ضحكته فقال ساخرا :

ـ لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك .. اكتب اسمك واسم ابيك

وكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بنفسه وقال :

ـ اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمر ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس .. ويكف بعضهم

عن بعض .

وتردد علي بن ابي طالب وهو يكتب السطر التالي .. واحس بانه قد وقع في موقف حرج .. فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فرأى التصميم في عينيه .. فامسك القلم وكتب :

ـ على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

تحسس عمر بن الخطاب سيفه مرة ثانية .. واراد ان يقتحم المكان .. لكنه تذكر الكلمات الاخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم .. فارتد الى الوراء وهو يكتم غيظا جارفا .

« ٣ »

ولم يكد علي بن ابي طالب يضع قلمه حتى كان ابو جندل سهيل بن عمر يقف امام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرسف بقيوده . فما ان رأى سهيل بن عمر ابنه ابا جندل يقف امامه حتى ثار الدم في عروقه فضربه على وجهه .. ثم اخذ بتلابيبه وهو يقول :

ـ يا محمد .. لقد تمت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ صدقت

ثم اخذ يجر ولده المسلم من تلابيبه وابو جندل يصرخ باعلى صوته :

ـ يا معشر المسلمين .. يا معشر المسلمين .. أأرد الى المشركين ليفتنونني في ديني ؟

فقام عمر بن الخطاب وهو يمد يده الى سيفه وانتظر على احر من الجمر ثم تقدم النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جندل وقال :

ـ اصبر يا ابا جندل ، اصبر واحتسب .. فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا

واضاف :

ـ لقد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك ، واعطونا عهد الله ونحن لن نغدر بهم .

ـ عند ذاك لم يطق ابن الخطاب صبرا فوثب وسار مع ابي جندل جنبا الى جنب وهو يقول :

ـ « اصبر يا ابا جندل .. انما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب » .

واخذ يدني قائم سيفه منه وهو يقول :

ـ خذ هذا السيف فاضرب به رأس ابيك

لكن ابا جندل كان يعرف معنى كلمة الاب .. فمشى امامه صابرا راضيا بقضاء الله .

اما ابن الخطاب فقد ظل عابسا طوال الوقت .

« ٤ »

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة .. وعاد معه اصحابه وهم غير قادرين على تصديق ما حدث .. وما كاد النبي صلى الله عليه وسلم

يستقر في المدينة حتى كان ابو بصير عتبة بن اسيد بن جارية يقف امامه وهو يقول :
- « يا رسول الله .. لقد انطلقت من حبس بمكة .. وجئت اليك .. فهل انت مجيرى من ظلم كفار قريش ؟

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا .. فقد كان ينظر في كتاب ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي .. وكان احد رجال بني عامر بن لؤى يقف امام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ينتظر الاذن منه باعادة ابي بصير الى مكة حسب شروط المعاهدة وفي الطرف الاخر كان احد الموالي القرشيين يقف منتظرا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينظر في العيون المحدقة به :
- يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت .. ولا يصلح لنا في ديننا الغدر .
ثم تقدم منه وربت على كتفيه واضاف :
- « ان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا قريبا .. انطلق الى قومك »
قال ابو بصير بيأس ظاهر :
- يا رسول الله اتردني الى المشركين يفتنوني في ديني ؟
قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
- يا ابا بصير .. انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

ومد ابن الخطاب يده الى سيفه .. وحاول ان يتحرك .. لولا يد ابي بكر التي سارعت لتهدئته . اما ابو بصير فقد انطلق مع رسول قريش .. ومولى قريش حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال ابو بصير :
- اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر ؟
قال الرجل :
- نعم .
- هل استطيع ان القي نظرة خاطفة عليه ؟
- انظر ان شئت .

وبلمح البصر كان السيف في يد ابي بصير .. فطوح به في الهواء ثم ضرب به رقبة الرجل .. ما ان رأى المولى ذلك حتى هرب مسرعا حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال :
- ان هذا الرجل قد رأى فزعا
فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
- قتل صاحبكم صاحبي .

ولم يكد يكمل كلمته حتى كان ابو بصير يقف امامهم متوشحا سيفه .. وسار حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
- يا رسول الله وفت ذمتك . وادى الله عنك ، واسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه .
فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

- « ويل امه .. مسعر حرب .. لو كان معه رجال »

« ٥ »

كانت هذه الكلمة بمثابة دليل لابي بصير لما يجب عليه فعله .. فودع رسول الله وصحبه ونزل بـ « العيص » من ناحية ذى المروة على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الى الشام .

ونظر ابو جندل حوله وهو يرسف في قيود كفار قريش .. فرأى قبسا من الضوء ينير له السبيل .. ومد يده الى اغلاله وقيوده .. فتخلص منها .. واتجه الى « العيص »
وبدأ نهر المسلمين يتدفق على « العيص »
قال سهيل بن عمر :
- الويل كل الويل لك يا ابا بصير
وقال سفيان بن حرب :
- والله ان هذا لهو السفه .
اما المسلمون المهاجرون من ظلم كفار قريش فقد كانوا يلتفون حول ابي بصير .

« ٦ »

قال ابو بصير :
- نحن الآن سبعين رجلا
وقال ابو جندل :
- بل سبعون اسدا انطلقت من اسارها وستعلم قريش كيف ننتقم لانفسنا ولاخواننا .

وبدأت حالة الحرب .. بين العصابة المؤمنة الهاربة بدينها .. وبين عصابة الكفار القرشيين .
قال سهيل بن عمر وهو يتميز غيظا :
- « ما هذا .. ألا نقدر على سبعين رجلا !
قال ابو سفيان بن حرب :
- هذا كثير .. هذا كثير .. انهم يضيقون الخناق علينا
وقال كافر آخر :
- ولا يظفرون بأحد الا قتلوه .. ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها
وهنا صاح سهيل بن عمر غاضبا
- ما العمل اذن ؟
قال ابو سفيان بن حرب باستسلام :
- يجب ان نكتب الى محمد ليضم هذه العصابة اليه
وعقب آخر :
- اجل لن نطالب بهم ابدا .. المهم ان نتخلص من شرهم .

« ٧ »

في صباح ذلك اليوم كانت المدينة كلها تستقبل هذه العصابة المؤمنة . وكان سيف عمر بن الخطاب يلمع في يده .. تقدم عمر بن الخطاب من الرسول صلى الله عليه وسلم وتمتم بكلمات غير مفهومة .. هل تعرفون ماذا قال ؟ :

« مازلت اتصدق واصوم واصلي واعتق ، من الذى صنعت يومئذ .. مخافة كلامي الذى تكلمت به ، حتى رجوت ان يكون خيرا » .

كتاب الشهر

علوم الدين

● عشت مع هذا الكتاب وقتا طويلا ؛ لأنه قدم لي زادا نافعا للدنيا والآخرة .. وما أشق أن أختار لكم - أيها الاخوة - بعض موضوعاته لأن كل موضوعاته خطير وعميق ومفيد .

إن هذا الكتاب دراسة ميسرة عن العلوم الاسلامية وهي القرآن الكريم والتفسير والسنة المطهرة والفقه والتربية والدعوة وغيرها من المباحث . وقد جمعت هذه الدراسة ما تفرق من أشتات تلك المباحث في بطون الكتب القديمة والحديثة ، وهي تعطي صورة واضحة عن الثقافة الاسلامية بأسلوب العصر . ونقف لنتساءل :

ماذا قال المؤلف **الدكتور/ عبدالله شحاته** ؟ لقد تحدث أولا عن الوحي وهو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة خفية غير معتادة للبشر ، وقد أشار **القرآن الكريم في آية واحدة الى صور ثلاث من صور الوحي هي** : (**وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم**) الشورى ٥١ .

وهذا الوحي الشرعي بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحي اليه بأن ما ألقى إليه حق من عند الله ليس من خطرات الأوهام ولا من نزعات الشيطان ، ولا يتولد من مقدمات بل هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والشبع والحب والبغض .

وقد بدأ نزول الوحي على رسول الله في ١٧ من رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة النبوية ، واستمر نزول الوحي عليه ٢٣ عاما حتى لقي ربه في ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٨ من يونيو ٦٣٣ م وكان عمره ٦٣ عاما .

وقد حظى القرآن الكريم بعناية الأمة خلفا عن سلف لأنه روح الشريعة

الإسلامي

تقديم الأستاذ / محمد ابراهيم الخطيب

وكتابها الخالد ، وظل وحيا يُتلى ، ونورا يهتدى به ، وهدياً يطبق ، وخلقا عمليا يتحلى به ، وينبغي أن يفهم انه ليس المراد بقراءة القرآن ترتيل ألفاظه فحسب بل المراد امتثال معانيه والتزام أوامره واجتناب نواهيه . وقد روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » . البخاري ، وعن أبي ذرٍّ قال :يا رسول الله أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » ، قلت : يارسول الله زدني ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء » ابن حبان .

ولقد كان القرآن حقا مدرسة خَرَّجت رجالا قادوا الدنيا ، وأرسوا معالم حضارة خالدة ، وصبغوا الحياة بصبغة القرآن وتوجيه الرحمن وهدى محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن كتابة القرآن وقال : ان ترتيب الآيات والسور توقيفي ، وتحدث عن حفظ القرآن في عهد الرسول وأبي بكر وعمر وعن أسباب جمع عثمان للمصحف ، وأشار الى القرآن المكي والمدني ، والقرآن المكي يدعو ـ كما يعرف من خصائصه ـ إلى الايمان بالله وتوحيد الخالق ، ويحارب عبادة الأوثان والأصنام ، ويذكِّر الناس بالبعث والجزاء ، ويصف مشاهد القيامة ، ويعرض صور النفخ في الصور والقيام من القبور وتوزيع الصحف ووزن الأعمال ، والمرور على الصراط ودخول المتقين الجنة ودخول الكافرين النار .

وتنزلت الآيات المدنية ، وتناولت فيما تناولت دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية . وسائر ضروب العبادات والمعاملات . وماذا قال المؤلف عن القرآن

والتفسير ؟ لقد أنزل الله القرآن مصدراً للهداية يقول سبحانه : (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) المائدة/ ١٥ و ١٦ .
وقد جدت في أيامنا عوامل متعددة جعلت الكثيرين يتطلعون إلى حياة أفضل ويتلمسون سبل الاصلاح وميادين التقدم والازدهار ، ونرى أن نهضة المسلمين لا تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التى رُوعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري ، وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوي من نصح ورشد ، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه المعْجز ، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن الكريم « وهو ما نسميه بعلم التفسير » خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي ، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز التي احتواها هذا الكتاب المجيد .
وتحدث المؤلف عن التفسير عبر العصور : عن التفسير في عهد النبي وفي عهد الصحابة ، وفي عهد التابعين ، وفي عهد تابعي التابعين ، وعن تفسير ابن جرير الطبرى وعن التفسير النقلي والعقلي والتفسير بين القديم والحديث وعن منهج الامام « محمد عبده » في التفسير .
ومن المفيد أن نذكر أن كتب التفاسير انقسمت الى نوعين : كتب التفسير بالمأثور ، وكتب التفسير بالمعقول .
وخلاصة ما قيل في مجال التفسير ـ١ ـ أن التفسير بدأ بتوضيح النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات ، وبذلك يعتبر النبي الأمين أول مفسر للقرآن ، ـ٢ ـ اتسع نطاق التفسير كلما بَعُدَ العهد بالنبوة لحاجة الناس إلى التفسير وبعدهم عن ملابسات نزول القرآن .. ـ٣ ـ لم يكن التفسير لذات التفسير بل نشأ التفسير إجابة عما غمض وتوضيحا لما أشكل ، وتفسيرا لما أبهم . فلم يفسر النبي الأمين جميع القرآن بل فسر آيات منه ، وتعهد أصحابه القرآن قراءة وفهما وتوضيحا فاتسع نطاق التفسير نسبيا ، ولكنه لم يشمل جميع القرآن . ـ ٤ ـ أقدم تفسير مطبوع الآن هو تفسير الثورى « ت ١٦١ هـ » وهو تفسير بالمأثور ، وقاصر على تفسير بعض الآيات . ـ ٥ ـ وأقدم تفسير كامل للقرآن هو تفسير « مقاتل بن سليمان البلخي » « ت ١٥٠ هـ » . ـ ٦ ـ وكثير من التفاسير المبكرة ضاعت ولم تصل إلينا ، ويعتبر تفسير « ابن جرير الطبري » « ت ٣١٠ هـ » أقدم وثيقة تجمع هذه التفاسير . ـ ٧ ـ واستمرت عناية المسلمين بالقرآن في جميع العصور الاسلامية فألّف حوله من الكتب مالا يحصى ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ . ونأتي الآن إلى الحديث عن السنة فماذا قال المؤلف في مجال السنة ؟ السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي ، بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن

تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم والبيهقي .
وهي في اصطلاح المحدثين تطلق على كل ما أُثِرَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل أو أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث أو الخبر أو الأثر حيث يستعمل اسم السنة ، وبذلك يكون الحديث والأثر مراد للسنة بالمعنى العام . وعن تدوين السنة يقول : كان عمر بن عبدالعزيز أول من أمر بتدوينها خوفا عليها من الضياع ، وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور ، فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري إلا أن عمله كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب ، وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني الهجري .
وعن كتب الحديث يقول : لقد صنفت في الحديث كتب كثيرة وصل إلينا بعضها ولم يصل بعضها الآخر ، ولايزال عدد كبير منها مخطوطا في المكاتب العالمية وقد اصطلح العلماء على تقسيم كتب الحديث بالنسبة إلى الصحة والحسن والضعف إلى طبقات : الطبقة الأولى وتنحصر في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك بن أنس ، والطبقة الثانية وفيها جامع الترمذي وسنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل ومجتبي النسائي ، والطبقة الثالثة وهى الكتب التي تكثر فيها أنواع الضعف من شاذ ومنكر ومضطرب مثل كتب البيهقي والطبراني والطحاوي ، ولا يستطيع الاعتماد على هذه الطبقة والاستمداد منها إلا كبار المحدثين الذين أفنوا حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة بصنفات حياتهم في استكمال هذا العلم ، والطبقة الرابعة مصنفات هزيلة جمعت في العصور المتأخرة من أفواه القصاص والوعاظ وبعض المتصوفة والمؤرخين غير العدول وأصحاب البدع والأهواء كما في تصانيف ابن مردويه وابن شاهين وأبي الشيخ ، وهذه الطبقة لا يعول عليها أحد من الذين لهم إلمام بالحديث النبوي لأنها مصدر الأهواء والبدع ، ثم أشار المؤلف إلى البخاري ومسلم وصحيحيهما ، وإلى كتب السنن الأربعة ، وأصحابها هم أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه رضي الله عنهم ..
وننتقل الآن مع المؤلف إلي الفقه الاسلامي فماذا قال عنه ؟ لقد أرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه القرآن مشتملا على ثلاثة أهداف رئيسية هي : ـ١ ـ الدعوة إلى توحيد الله ولفت أنظار الناس إلى الأدلة على وجوده . ـ٢ ـ قصص الأنبياء السابقين وسيرة الخليقة لتكون عظة وعبرة لمن بعدهم . ـ٣ ـ تشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام والعبادات والمعاملات . وعرف القسم الأخير فيما بعد باسم الفقه ؛ فالفقه جزء من أجزاء الشريعة ، ومعناه فهم الأحكام الشرعية فهما دقيقا ، قال تعالى :(**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) التوبة / ١٢٢ .
والفقه الاسلامي نظام عام يتناول علاقة الانسان بالخالق ، وعلاقة الإنسان مع غيره ، وقد درج الفقهاء القدامى على تقسيم الفقه إلى قسمين رئيسيين : الأول : أحكام العبادات التي يقصد بها التقرب إلى الله وحده ، والثاني : أحكام المعاملات ويقصد بها الأحكام التي تتعلق بجميع أعمال الانسان وتصرفاته وراء قسم

العبادات ، وقد جرى المتأخرون على تقسيم الفقه إلى ستة أقسام هي : ـ١ ـ العبادات ـ٢ ـ الأحوال الشخصية وهي ما يتعلق بنظام الأسرة ـ٣ ـ العقوبات ـ٤ ـ المعاملات وهي التصرفات المالية ـ٥ ـ المرافعات : وهي ما يتعلق بالحكم في القضايا بين الناس ـ٦ ـ المغازي وهي ما يتعلق بالحروب والجهاد ومعاملة الأسرى وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها . وقد مَرّ الفقه الاسلامي بأدوار مختلفة مر بها الكائن الحي ، وهي : دور النشأة والنمو ، ودور النضج والكمال ، ثم دور التقليد والجمود ، وأخيراً دور اليقظة .

وقد نشأت المذاهب الفقهية المتعددة في دور نضج الفقه الاسلامي واكتماله أي في الفترة التي تبدأ من أوائل القرن الثاني الهجري تقريبا إلى منتصف القرن الرابع الهجري .

وقد أشار المؤلف إلى أشهر المذاهب السنية التي كتب لها البقاء حتى الآن ، وهي المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي ، والمذهب الحنبلي .

وننتقل الآن إلى« التربية الاسلامية » وحول هذا العنوان يقرر المؤلف أن القرآن الكريم دعوة هادفة إلى المُثُل العليا والطريق القويم ، وقد عني القرآن بالجانب الخلقي والنفسي والعقائدي والتشريعي فلم يكن قدرا من التعاليم ولكنه كان طاقة مبدعة وروحا جديدا طهَّر نفوس المسلمين وغمرها بالخير والفضيلة وبعد أن كان المثل الأعلى للفرد هو السلب والنهب صار هذا المثل للفرد هو الايمان والإحسان والصدق والوفاء والاقتداء بالنبي الأمين .

وقد اهتم الاسلام بتربية الأطفال اهتماما كبيرا لأنهم أملُ المستقبل ، رأيناه يأمر بحسن اختيار الأم ، ويذكر أن من حق الوليد على أبيه أن يحسن اسمه ، وأن يؤذن في أذنه اليمنى عند ولادته ، ويقيم الصلاة في اليسرى .. وذكر المؤلف آراء سديدة لفلاسفة الاسلام في مجال تأديب الصبيان وتهذيبهم ، لقد تحدث عن التربية عند الغزالي وعنها عند ابن خلدون ، وقد اهتم الاسلام بالعلم والتعليم ، ويكفى أن رسول الله كان معلما ومربيا ، وهو في نفس الوقت القدوة العملية للمسلمين ، ولمعاذ بن جبل وصية جليله في وصف العلم جاء فيها :« تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم » .

وللتربية الاسلامية معالمها ، ويخطىء من يقيسها بمقياس التربية في العصر الحديث ؛ ذلك أن التربية نظام اجتماعي ينبع من فلسفة كل أمة ، وهو الذي يطبق هذه الفلسفة أو يبرزها إلى الوجود .

والتربية الاسلامية جهاز اجتماعي يعبر عن روح الفكرة الاسلامية التي تعتمد على الكتاب والسنة ، وقد تميزت عن ألوان التربية الأخرى التي سادت في الشرق الأوسط وقت ظهور الإسلام .

وقد كان حفظ القرآن،أو حفظ قدر يسير منه،كافيا في طبع الصبيان على التربية

الاسلامية الصحيحة ، وكلما زاد المسلم للقرآن حفظا زاد للاسلام فقها ، وعندما ترسخ العقيدة في نفس المسلم لا يقف في دائرة العمل عند حد نفسه بل يتجاوز ذلك إلى المجتمع بأسره حسب القاعدة الإسلامية« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهكذا يكون جوهر هذه التربية هو الضمير المستمد من مخافة الله ومعرفته حق المعرفة ، ومن مباديء التربية الاسلامية تكافؤ الفرص بالدعوة إلى الحرية والمساواة ، ومن القواعد المقررة في أصول الفقه الاسلامي أنه « لا ضرر ولا ضرار » وفي القرآن نقرأ :

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) االبقره / ١٨٥ .

وبهذه الروح السمحة رعى الاسلام مصالح الناس وأن تنقل الحضارة من جيل إلى جيل من أجل نفع الانسانية ، ومصالح العباد .

وقد اهتم الاسلام بتربية الشباب أيما اهتمام ، وقد كفل القرآن والسنة أصول الاصلاح السياسي والاجتماعي والفكري والروحي للشباب وللناس أجمعين .

وتقوم هذه الأصول على : ـ١ ـ الربانية ـ٢ ـ التسامي بالنفس الانسانية ـ٣ ـ تقرير عقيدة الجزاء ـ٤ ـ اعلان الأخوة بين الناس ، ـ٥ ـ النهوض بالرجل والمرأة جميعا والمساواة بينهما ـ٦ ـ تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب ـ٧ ـ ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج . ـ٨ ـ تأكيد وحدة الامة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

ولاشك أن الالتزام بالاسلام يثمر الخير للفرد والمجتمع ؛ لأن الاسلام ـ كما هو معروف ـ نظام شامل يشمل البيت والمدرسة والمسجد والحياة كلها .

ومن المفيد للرعاية الروحية للشباب التأكيد على العناية بالنشء في الصغر ، وعلى الايمان باهمية القدوة الحسنة ، وعلى الاهتمام بالمدرسة لأن لها دورا فعالا في إعداد النشء والشباب ، وعلى إعادة النظر في قوانين ولوائح ونظم نوادي الشباب ومراكزهم لتأكيد المباديء الدينية والخلقية ، وعلى العناية بالمسجد ، وبوسائل الإعلام لتكون أداة خير ..

ونأتي الآن إلى الحديث عن الدعوة إلى الاسلام .. ونتساءل : ما أهم وسائل نجاح هذه الدعوة ؟ وما ملامح الداعية القادر على القيام بهذا الدور العظيم ؟

ان اهم وسائل نجاح الدعوة أن تكون قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة وعلى الجدل بالتي هي أحسن ، وفي هذا نقرأ قول الله تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)** النحل/ ١٢٥ **والدعوة الى الاسلام في حاجة الى تفنيد مفتريات العدو وتأكيد قدرة الاسلام الذاتية على العطاء ، ولهذا وجب أن يتوفر لها الداعية المزوّد بمهارات وخبرات ودراسات مناسبة لما يقوم به .**

ومن هذه الخبرات : التعمق في معرفة القرآن والسنة وعلوم الشريعة

والسيرة وأن يجمع الى العلم القديم علما حديثا بالمعارف المختلفة التي توضح العلوم الدينية باسلوب العصر ، وأن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم ، وأن يكون خبيرا بطرق التربية والتعليم ، وأن يكون على خلق كريم ، وأن يكون حسن الهيئة وأن يحسن اختيار الموضوع مبتعدا عن اثارة الشبهات وأن يكون قدوة حسنة ، وبهذا ينجح في دعوته التي ينبغي أن يكون شديد الثقة والانفعال بها .

وفي ختام هذا الكتاب القيم يشير الكاتب الى نظام الحكم في الاسلام فماذا قال عن أهداف الحكم وعن حقوق الحاكم وواجباته ...

وعن دعائم الحكم الاسلامي ؟

ان الاسلام دعوة عالمية خالدة تهدف الى خير البشرية ، ومن هنا يجب أن تكون الغاية من نظام الحكم الذي يرضاه غاية شاملة تنتظم أهدافا عديدة منها : -١ - بيان الدين للناس بيانا صحيحا ، -٢ - العمل على وحدة الامة -٣ - حراسة الوطن وحمايته .

ثم انه اذا تم اختيار الحاكم وجبت له الطاعة ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم :« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (رياض الصالحين في باب وجوب طاعة ولاة الأمر) .

ووجب تفويض الامور اليه دون اعتراض عليه إلا بالنصيحة عندما تجب ، ليتفرغ لما وكِّل اليه من وجوه المصالح وتدبير شئون الامة وأعمالها وسائر ما يجب عليه .

والحكم الاسلامي يقوم على ثلاث دعائم لابد منها هي :

- ١ - الشورى فيما يجب المشورة فيه من شئون الامة العامة ، يقول الله تعالى : (وشاورهم في الامر) آل عمران/ ١٥٩ .

- ٢ - العدل من الحاكم الأعلى ومن سائر الحكام ، وكان سلوك النبي عليه الصلاة والسلام وسلوك الخلفاء الراشدين نموذجا للعدالة المطلقة التي شملت المسلمين وغير المسلمين كما شملت الأصدقاء والأعداء .

يقول سبحانه : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) النحل / ٩٠

- ٣ - الاستعانة بالاقوياء والأمناء والأكفاء وحسن اختيار الولاة والحكام يقول عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاسق لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » البخاري ومسلم وبقي ان نقول اذا كانت البشرية قد عرفت كثيرا من الوان النظم والحكومات فإن الاسلام قد وضع الاصول العامة لنظام الحكم ولم يقدم قالبا جامدا لتطبيق هذا النظام بل ترك لكل امة حرية الاختيار مع ما يتناسب مع ظروفها ومصلحتها وهو بهذا نظام متميز ليس له مثيل ..إنه النظام الاسلامي وكفى .. نفعنا الله بالاسلام .. وهدانا الى صراطه المستقيم .



للدكتور / محمد مصطفى الزحيلي

وجد الدين في هذه الدنيا منذ أول البشرية في الوقت الذي خرج سيدنا آدم من الجنة ، وحط قدمه على الأرض ، وخاطبه ربه بقوله تعالى : (**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة / ٣٨ .

والتدين فطرة ذاتية في النفس الانسانية ، ولا يمكن لها العيش السعيد والراحة والطمأنينة والسعادة الا تحت ظله .

وأستمر الدين يرافق البشرية في أطوار حياتها ، ولم يخل مجتمع ولا أمة من ظاهرة التدين ، ولم يمر زمن أو عصر بدون التزام بالدين ، ولم تقم حضارة ، ولا أسست مدنية ، ولا نهضت أمة الا من وراء عقيدة دينية .

وسيبقى الدين مرافقا للبشرية الى يوم الدين ، والى أن تفنى البشرية ، وتقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

ولكن الدين الحق الذي أراده الله تعالى لصلاح عباده في الأرض ، والذي يمتد من أول البشرية ، وينبع من النفس والفطرة ، وسيظل حتى النهاية ، هذا الدين لم يبق على نضارته ونقائه ، ولم يسلم على حاله ، وانما عرضت له ظواهر مرضية كثيرة ، غيرت جوهره ، وعكرت صفوه ، وحالت دون تحقيق الهدف الأصلي منه ، وتعددت هذه الظواهر المرضية هنا وهناك ، على مستوى الأفراد والمجتمع والدول ، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث ، ومن أهم هذه الظواهر المرضية للدين عبر التاريخ ما يلي :

* ضعف الايمان :

تعرض الدين الحنيف للوهن والضعف في النفوس ، وتحركت النزعة المادية في

الانسان ، وطغى الشيطان على اتباعه من الانس والجن للتهرب من أحكام الدين ، والتفلت من زمامه ، والتحايل عليه ، والتلاعب على بعض جوانبه ، وكانت النتيجة سوء الأحوال الخاصة والعامة تحت ستار الدين ، وانتشار الفساد والضلال في الفرد والمجتمع ، وبالتالي فقدت المقاصد الأساسية للدين ، وتعرضت المصالح الحقيقية للضياع .

* المتاجرة بالدين :

وقام بعض حملة الدين باستغلاله والتستر وراءه لتحقيق أغراضهم الشخصية ، ومطامعهم الذاتية ، وميولهم الدنيئة ، وشهواتهم الحيوانية ، واتخذوا الدين سلعة للمتاجرة والمساومة لسلب خيرات الناس ، وابتزاز أموالهم ، والوصول باسم الدين الى المناصب والمراكز ، والتمتع بشهوة السلطة ، وفرض النفوذ على الآخرين ، فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين .

* اضفاء الصفة الدينية على الفلسفة والآراء :

وظهر في مناطق متعددة من أرجاء المعمورة ، وفي أحقاب زمنية مختلفة ، ظهر عدد من الفلاسفة والمفكرين ، وأراد هؤلاء الفلاسفة أن ينشروا فلسفتهم وأفكارهم بين الناس ، فأستغلوا مكانة الدين في النفوس ، وأضفوا على فلسفتهم وأفكارهم الصفة الدينية ، وألبسوها رداء الدين ، ليضمنوا الأقتناع بها بسرعة في النفوس ، ويحققوا انتشارها ، وصارت هذه الفلسفات أديانا في التاريخ والمجتمع ، وخاصة الديانات الصينية والهندية القديمة ، ومن هنا ظهرت الأديان الوضعية التي اخترعها الناس افتراء وكذبا وزورا على رب العالمين ، وكانت النتيجة أن تعددت الأديان ، واختلط الحابل بالنابل ، وظهرت الأديان السماوية بجانب الأديان الأرضية ، والأديان المنزلة ازاء الأديان الوضعية ، والأديان الصحيحة معاصرة للأديان الفاسدة المزورة ، ومن ذلك دين مسيلمة الكذاب وغيره من المتنبئين الكاذبين .

* التحريف والتبديل :

وتعرضت الأديان السماوية الصحيحة المنزلة للتحريف والتبديل والتغيير على يد فريق من الناس ، الذين دخلوا الدين بدون ايمان ولا اقتناع ، واعتنقوا الدين نفاقا وتقية ، وأعملوا معاول الهدم والتخريب في الأديان ، فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، وافتروا على الله الكذب والزور والبهتان في الاحكام ، حتى صار الرهبان أربابا من دون الله ـ والعياذ بالله ـ ، وانقلب التدين من عبودية الله تعالى الى عبودية البشر والطواغيت ، كما نسبوا لله تعالى ما لا يليق به من الأسماء والصفات ، ونسجوا على الأنبياء القصص الوهمية والخرافات ، وافتروا على الله

تعالى الكذب في العقيدة ، وشرعوا الزور والبهتان في الأحكام .

*** شهوة السلطة :**

وظهرت جماعات من المتدينين أرادوا أن يشاركوا الحكام والملوك والسلاطين في السلطة ، وأن يتولوا المناصب والزعامات ، فساروا في ركب الحكام الظالمين ، والطغاة المستبدين ، واستغلوا نفوذهم الديني ، ومركزهم اللاهوتي في مواكبة الظلمة ، ومشاركة الطغاة والجبابرة ، وكانت النتيجة أن يمقتهم الناس ، وأن يديروا لهم الظهور ، وأن يصبوا عليهم اللعنات ، وأن يسعوا للتهرب منهم ، والتخلص من جورهم وظلمهم ، وأن يطالبوا بابعاد الدين الذي كان وسيلتهم في ذلك ، وأن يفصل الدين عن الدولة والمجتمع والحياة .

*** رجال الدين :**

وأراد بعض الحكام والطغاة المستبدين ان يركبوا موجة التدين ، وأن يستغلوا الدين لسلطتهم ، فامتطوا بعض ضعاف الايمان من ذوى النفوس الدنيئة ، ممن يعرف « برجال الدين » ويحمل شعار الدين ، ويلبس رداءه ، فقربوهم اليهم ، وفتحوا لهم أبواب السخاء والرفاه ، ثم سخروهم لمطامعهم ، وجعلوهم أبواق دعاية لهم ، يسبحون بحمدهم ، ويسترون عيوبهم ، ويضفون عليهم المساحيق البراقة ، فكانوا أشبه بكلاب الحراسة للسلاطين ، يقفون بجانب الظلمة ، ويدافعون عن الظالمين ، وحصروا الدين في بوتقة صغيرة ، وفتحوا للناس نافذة ضيقة ، وطلبوا منهم الرؤية من خلال المنظار الذي أتيح لهم .

*** الجهل بالدين**

وكان أكبر عون على معاداة الأديان الصحيحة الجهل بها ، لأن الانسان عدوما يجهل ، وظهرت جماعات كثيرة تجهل الدين السليم ، لكنها لم تتخل عن التمسك به فوجدت حظها بالتقاليد المتوارثة ، والعادات السيئة ، والأعراف الباطلة التي صارت في نظر الناس دينا ينقلونه من الأجداد الى الآباء ، ثم يتوارثونه الى الأبناء والأحفاد ، حتى انقلبت حياتهم « الدينية » الى وثنية سوداء ، وشرك وضيع ، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك هم الأخسرون أعمالا .

*** أتباع الشهوات والغرائز**

ولئن كان التدين فطرة في النفوس ، فالنفس البشرية ذات نزعة مادية أيضا ، وأنها تتركب من عدد من الغرائز والشهوات ، ويقوم العقل باقامة التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في النفس ، فان قصر العقل ، وتخلف عمله ، ترجح جانب المادة ، وتحركت الشهوات والغرائز ، وانطلقت بدون حد ولا قيد ، وسارت في طريق الغواية والشيطان ، وهذا يؤدي الى تجاوز حدود الشرع والعقل ،

وارتكاب المعاصي ، والانغماس في المحرمات ، والغفلة عن أحكام الشرع ، وتجاوز المقدسات الدينية مع الأعتراف بقرارة أنفسهم بالايمان وصحة العقيدة والتقصير في أحكام الدين ، ويسمى هؤلاء بالعصاة والمذنبين ، ولكنهم يشكلون ظاهرة مرضية خطيرة في المجتمع .

* تمزيق الدين :

وظهرت جماعات كثيرة تؤمن بالدين ، ولكنها تأخذ بعضه ، وتهمل بعضه الآخر ، فتطبق بعض أحكامه ، وتتخلى عن بعضها الآخر ، تسلخ من الدين ما تشاء من الفروع بما يتفق مع الأهواء والميول ، فتلتزم به ، وتدير ظهرها لما تشاء منه ، فتمزق الدين شر ممزق ، ثم تلجأ الى أديان أخرى أو فلسفات فكرية أو قوانين وضعية لتستورد منها ما تشاء ، وترقع بها التمزق والثغرات ، بدون تنسيق ولا انسجام ، ليصبح المنظر مقززا ، والثوب مرقعا ، والصورة مخزية ، والهيكل غريبا عن أهله وعن غير أهله .

ولم يقتصر هذا الأمر على الأفراد والجماعات ، بل امتد الى الدول والحكومات ، التي قامت بنفس العمل السابق ، وحاولت الجمع بين هذا وهذا ، فضلت وأضلت ، وأضاعت شخصيتها ، وفقدت هيبتها ، وتعثرت في طريقها ، واضمحل كيانها ، لتصبح تبعا لهذا وذاك .

ويصدق على هذه الظاهرة قوله تعالى : (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون**) البقرة / ٨٥ و ٨٦ .

* التبشير والاستعمار :

وأتخذت بعض الدول في العصور الحديثة سياسة مزدوجة نحو الدين ، فأعلنت الحرب عليه في الداخل ، وقررت التخلص منه ، واغلاق منافذه ، ومنع تعليمه ، واضطهاد رجاله ، وتشويه سمعته ، والحاق الشبه والأباطيل والمساوىء فيه ، بينما تبنت الدعوة اليه خارج البلاد ، وأرسلت البعثات التبشرية في شرق الأرض وغربها ، وأمدتهم بكل ما يحتاجونه ، فقام هؤلاء بالتبشير بالدين من جهة ، واماطة العقبات أمام الجيوش الزاحفة للاستعمار العسكري والسياسي والفكري والاقتصادي من جهة أخرى .

* الالحاد والعلمانية :

وظهرت في العصور الحديثة دعوات إلحادية كثيرة ، ونجحت بعض هذه

الأفكار الألحادية في استلام السلطة واقامة الدول على أساس الالحاد والعلمانية ، وأخذت على نفسها محاربة الأديان ، بدون تمييز بين دين ودين ، وكونت عن الأديان فكرة قاتمة سوداء وأصدرت عنها شبهات داكنة في مبادئها وأحكامها واستغلت التاريخ الأسود عن بعض حقب التاريخ للأديان ، وأظهرته للناس ، كما نشرت الجانب المظلم للأديان الفاسدة الباطلة الوضعية ، وحملت وزره الى الدين بشكل عام ، ورسمت للدين صورة مصطنعة اصطناعا ، تعلوها الرتوش الشيطانية ، والهندسية الخالية ، وتحمل شارة الاستيراد من الخارج ، مع كونها صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرفة ، أو العصور المظلمة ، وقرنت بهذه الصورة صورة لماعة براقة ، تتجلى في التقدم العلمي ومعطيات الحضارة والانتاج الصناعي الحديث ، والتقنية الفنية ، والمكتشفات العظيمة ، والاختراعات المتلاحقة ، والوسائل المتعددة التي يسخرها الانسان في حياته ومواصلاته ، وتزيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات الحياة ، مما يخلب الأنظار ، ويشغل الفكر ، ويحجب كثيرا من البسطاء عن كشف الحقيقة ، والتعمق في النظرة ، والبحث عن المتاعب والمشاكل والأمراض النفسية والعقلية والجسمية التي ترافق هذه الصورة ، لكنه قفز الى نفوس كثير من الناس ، وخاصة الشباب والمثقفين ان الدين « موضه » قديمة ، وقد ولى زمانها ، ولم يبق لها فائدة ، وليس للانسان حاجة اليها ، ويمكن بسهولة ويسر الاستغناء عن الدين ، وأعلنت دعوات الالحاد وجوب الاستغناء عن الدين وفصله عن الدولة ، وابعاده عن مجال الحياة ، وتابعوا الشطط فقالوا : ان الدين والتدين ظاهرة سيئة وعلامة على التخلف ، وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان ، واستدلوا على ذلك بأنهم أصبحوا في عصر المدنية والحضارة ، وأن العلم أساس كل شيء ، ويحقق للانسانية كل شيء ، ويحل ـ بل يجب أن يحل ـ محل الدين .

هذه بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ ، وكانت عبارة عن شوائب تركت آثارها السيئة على الحياة الانسانية ، وخلفت وراءها بصمات سوداء في جبين البشرية من جهة ، وعكرت صفحة الدين في النفوس ، وألحقت به العلل والاسقام من جهة أخرى ، واختلفت حالات هذه العلل والأعراض من أمة الى أخرى ، فقد قضت على كثير من الأديان الباطلة ، والأفكار السخيفة ، والطقوس الفارغة ، وقوضت دعائم رجال الدين في الظلم والاستبداد والاستغلال باسم الدين ، ووضعت حدا للشذوذ والانحراف الذي وصل اليه بعض رجال الدين ، وزالت الترهات التي ألصقت بالأديان كذبا وزورا وبهتانا ، بينما كانت هذه الظواهر المرضية دواء ناجعا للصحوة الدينية في أماكن أخرى ، ودفعت الناس للبحث والتفتيش عن الدين الحق ، والقيم الدينية الصحيحة ، وزالت كثير من الشوائب الغريبة عن أحكام الدين ، وظل الدين الحق عند الأفراد والشعوب كوكبا دريا ، ومصباحا مضيئا ، وأملا ساطعا ، يتطلعون اليه ، ويأملون فيه الخير والبر .



تدارست لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية رسالة بعنوان « فرصة ذهبية » .. وتقول الرسالة : إنه بامكان كل مشترك ان يكسب ما يزيد عن « ٥٠٠٠ » دولار خلال ٣ ـ ٤ اشهر ..

وتمضي « الفرصة الذهبية » في بيان الخطوات المؤدية اليها فتدعو المشترك الى ..

١ ـ شراء قائمة بها أسماء مشتركين والتعليمات الخاصة نظير ١٠ دولارات أو ما يعادلها .

٢ ـ ثم يكتب اسمه وعنوانه بحروف انجليزية واضحة في الخانة المخصصة للمشترك الجديد في اسفل القائمة .

٣ ـ ثم يرسل المشترك القائمة ومعها شيكان قيمة كل منهما عشرة دولارات .. الشيك الأول صادر باسم المشترك رقم (١) والموجود باعلى القائمة .. والثاني باسم ..

ويرسلها الى ...

ثم خلال فترة قصيرة تصله ثلاثة قوائم جديدة .. يظهر اسم المشترك

هذا في كل منها مقرونا بالرقم ٦ .
ثم يقوم ببيع هذه القوائم الثلاثة إلى مشتركين جدد مقابل عشرة دولارات أو ما يعادلها وبذلك يستعيد ما دفعه سابقا ..

وهكذا تستمر اللعبة « الفرصة الذهبية » وفي كل خطوة يرتفع فيها اسم المشترك إلى الرقم الأعلى ليحل محله آخر ، ويختفي اسم المشترك الموجود في أعلى القائمة ..

فعندما يكون المشترك قد باع ثلاثة قوائم يكون في الرقم ٦ .. وكل واحد من الثلاثة يبيع ثلاثة قوائم فتكون مجموع القوائم (٩) والمشترك في الرقم ٥ .. وعندما يبيع كل واحد من التسعة ثلاثة قوائم يكون مجموع القوائم (٢٧) والمشترك في الرقم ٤ ..

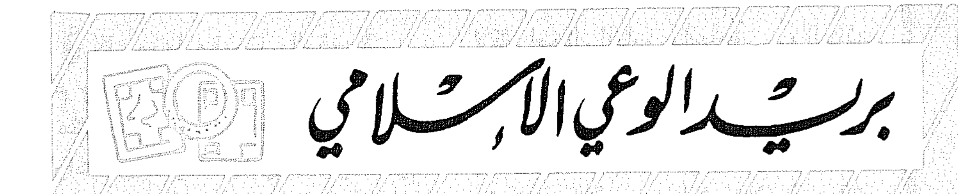
وهكذا حتى يصل المشترك الى الرقم (١) وعندها سوف يكون عدد القوائم « ٧٢٩ » يمتلكها ٧٢٩ شخصا .. وكل شخص سوف يحرر شيكا باسم صاحب الرقم (١) بمبلغ (١٠) دولارات ومعنى هذا ان يحصل على « ٧٢٩٠ » دولارا .

وتقول « الفرصة الذهبية » وعلى اية حال .. واذا ما تخلف بعض المشتركين عن الاستمرار « في اللعبة » فانه لن يقل الدخل منها عن « ٥٠٠٠ » دولار .

تلك هي خلاصة « الفرصة الشيطانية » عرضناها بصورة مبسطة حتى يقف على ابعادها القارىء الكريم .. وهي محاولة خبيثة لأكل اموال الناس بالباطل .. وإلهائهم وضياع لوقتهم وأموالهم بلا فائدة .. إنهم الأعداء - اعداء الاسلام - يحاولون هدم حصوننا من الداخل ، وزعزعة الأسس الاسلامية والتي ستظل راسخة إن شاء الله ، بفضل وعيك أخي القارىء ، وادراكك لمساعي الافاعي اليهود ، ومكرهم ، ولن يحيق المكر السيىء الا بأهله .

ولذا رأت لجنة الفتوى : ان هذا من قبيل اكل اموال الناس بالباطل ، لما فيها من غرر ، وليس هناك مصلحة في نشر هذه القوائم ، لأنها اوراق لا قيمة لها ، ولذلك فهي نوع من القمار ، لاحتواء هذا التصرف على الغرر ، وسينتهي الأمر الى ألا يوجد من يشتري هذه القوائم ، فتتضاعف الخسارة على من ينتهي عليه الأمر ، والواضح ان هذا عمل يهودي غالبا ، يراد به سلب اموال المسلمين بالباطل ، لأنهم يقولون « ليس علينا في الأميين سبيل » .

وتضيف الوعي الاسلامي : ان كل دورة لرأس المال بهذه الطريقة تعتبر دورة باطلة .. حيث لا مصلحة حقيقة وراء انتقال رؤوس الأموال من يد الى اخرى .. ولو كانت بصورة شركات وهمية ، لا وجود لها ، وعلى فرض وجودها فلا فائدة انتاجية منها .. بل مثل ذلك يأتي على الاقتصاد ، ويركز المال في ايدي فئة قليلة ، ويخلف الحسرة والخراب في نفوس وبيوت المساهمين . وقى الله المسلمين من الوقوع في هذه المهاوي .. اللهم آمين .



تشكيل الآيات القرآنية

الأخ / نبيه حامد ابراهيم حمزة .. يطلب منا تشكيل الآيات القرآنية الواردة في مقالات وموضوعات « مجلة الوعي الاسلامي » حتى لا يقع القارىء في خطأ عند تلاوتها ويخشى هو من الوقوع في هذا الخطأ .

المحرر : نشكر للأخ نبيه حرصه على قراءة الآيات القرآنية بصورة صحيحة ، وكنا نود أن نحقق له رغبته ورغبة كثير من القراء لولا عدة اعتبارات منها :

أولا : خشيتنا أن يقع خطأ في تشكيل حرف من آية فيؤدي إلى فساد المعنى .

ثانيا : ليست في المطبعة حروف مشكلة .. بل لا بد لفعل ذلك من بذل جهود شاقة .

ثالثا : نحن نقوم بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بذكر رقمها واسم السورة الواردة فيها .

حتى اذا ما وقع خطأ مطبعي في احداها أمكن للقارىء الوقوف على صحته بزجوعه إلى موضعها في المصحف الشريف .

رابعا : لا يكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين من نسخة كريمة من القرآن ، ولذا فالامر سهل على أي قارىء كريم .. بأن يفتح كتاب الله ، ويتحقق بنفسه من قراءة الآيات قراءة صحيحة . نفعنا الله بالقرآن الكريم تلاوة وعملا .

قراءة القرآن على الموتى

الاخ / حسن عقار ـ من المغرب العربي ـ ارسل يسأل عن حكم قراءة القرآن الكريم على الموتى ، وهل تنفعهم ام لا ؟

المحرر : يقول الشيخ محمود شلتوت : ان استمطار الرحمة على الموتى لا يكون الا بعمل مشروع كالدعاء والصدقة ، بشرط أن يكون خالصا لوجه الله الكريم .. ثم يقول : إن رحمة الله للموتى شأن من شئون الله سبحانه الغيبية استأثر بها ، ومنه وحده تعرف سبلها .

ونقول : إن آيات القرآن الكريم تدل صراحة على أن الانسان لا ينتفع الا بسعيه وعمله هو ، يقول تعالى :

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ويقول سبحانه : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » . ويقول : « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . الى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن ثواب العمل الصالح عائد على صاحبه فقط .

والأحاديث التي وردت بانتفاع الوالدين بعمل ابنهما الصالح يمكن إرجاعها إلى أن الولد من سعي أبيه ، ومن عمله . ومن هنا فلا تعارض بين الآيات والأحاديث .. ويكون انتفاع الوالدين بعمل أولادهما ، وإهدائهم الثواب إليهما من قبيل انتفاعهما بعملهما . أما قراءة الغير فثوابها للقارىء ، وهو لم يملك ثواب القراءة حتى يهديه لسواه ، وأما القراءة بأجر فهذا ما لم يشرعه الله ولم يأذن به .

وتبتعد به عن الشر .

٣ - إلزام المرء نفسه بطاعة الله ، والابتعاد عما حرمه الله وسد منافذ الشيطان التي يطلع منها على الانسان فيفسد عليه عمله ، ويزين له الباطل فالنظرة الى الأجنبية حرام ، ولمس المرأة الأجنبية من غير حائل لا يقره الاسلام ، والخلو مع امرأة أجنبية نهى عنه ديننا . كل ذلك حتى نسد على الشيطان منافذه فلا نقع فيما يوجب الحد .

٤ - الاستعانة بالصوم على كبح جماح الغرائز ، كل ذلك إذا لم يكن ميسورا أن يصل الانسان إلى ما يريد بطريق مشروع .. والاعتماد المطلق على الله في كل حال .. وإذا ما زلت قدم الانسان فليسرع بالنهوض والتوبة الصادقة إلى الله ، وهو الموفق والمعين ، والهادي إلى طريق الفلاح .

الاستمناء

كتب الصديق/ مجدي بركات .. حول هذه الآفة الخطيرة التي يتعرض لها الشباب خاصة في هذه الأيام .. ونضيف إلى ما قاله الصديق : إن العلاج يكمن في :

١ - شغل أوقات الفراغ لدى الشباب بعمل يعود عليهم بالنفع .. كالأعمال اليدوية ، والاطلاعات المفيدة ، والقراءات المثمرة .

٢ - الحياة في جماعة واختيار رفقة صالحة .. تعينه على الخير ..

الى قرائنا

كثير هم قراؤنا الأفاضل الذين أرسلوا إلينا يسألون عن كتاب « الأفعى اليهودية » للاستاذ/ عبد الله التل والذي قدم له وعرضه الأستاذ/ معالي عبد الحميد وكيف يمكنهم الحصول على نسخة من الكتاب ؟ ونحن بدورنا قد أرسلنا للأستاذ معالي برغبة قرائنا الأعزاء .. وما زلنا في انتظار إجابة كاتبنا الفاضل .. وعندما يصلنا رد سيادته بما يحقق رغبة القراء ، فسوف ننشره إن شاء الله .



الأخ منير عبدالسلام الأشقر أرسل الى بريد الوعي الاسلامي بهذه الكلمة تحت عنوان :



معلوم لدينا أن العرب وغير العرب سواء في أنهم خلقوا لعباده الله وأداء حقوقه والاستعداد للقائه ؟
لكن العرب وحدهم أولى الأجناس بمعرفة الله والتزام حدوده ، اذ أن حاجتهم الى الدين تفوق حاجة غيرهم أو فرص التسامي التي تتاح لهم يوم يتقون الله أضعاف الفرص التي تتاح لغيرهم ، ان العرب جنس حاد المشاعر جامح الغرائز ، عندما يطيش يفقد وعيه وعندما يعقل يبلغ الاوج ...
ولقد تمعنت في رأى ابن خلدون في العرب وترددت في تصديقه ثم انتهيت اخيرا الى أن العرب لا يصلحون الا بدين ، ولا يقوم لهم ملك الا على نبوة ، وأن العالم لا يعترف لهم بميزة الا اذا كانوا حملة وحي ، فاذا انقطعت بالسماء صلتهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وغشيهم الذل من كل مكان .
ففي قراءتنا لسير الأنبياء مع أقوامهم نعجب أشد العجب لضياع رسالتهم أمام عواصف التكذيب التي هبت عليهم من كل مكان ! في جنوب الجزيره العربية كانت عاد وسبأ وفي شمالها كانت ثمود ومدين وقرى المؤتفكة .. فتاريخ العرب الأقدمين مع الدين مثار عبرة ! إن الرسل الكرام أعجزتهم الطباع المستكبرة والرذائل

المتمكنة ، فمضت سنن الله تحصد المجرمين وتؤدب العاتين ففي سورة هود التي تعتبر بمثابة نموذج لهذا التاريخ من القرآن الكريم قوله سبحانه « **فلولا كان من القرون من قبلكم أو لو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين.وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** »

صدق الله العظيم ، ... وشاء الله أن يتجدد العرب مع الرسالة الخاتمة ، ان الأوائل الذين بادوا في حريق الجحود جاء من بعدهم من أخذ الكتاب بقوة ، وخدم الايمان بعزم ، وانتصب لحرب الجبابرة ببأس شديد !

والواقع ان الجيل الذي رباه محمد صلى الله عليه وسلم كان من طراز فذ . لقد ألان القلوب لله حتى بلّت دموعها المحاريب ، وأخلص النيات فما بقى هوى ولا غش .

وتمهدت الميادين لنصرة الحق ، فاندكت صروح للباطل ما ظن أحد أنها تزول وتلاشت أوهام وخرافات حقرت الانسانية وأزرت بها ونشأت حضارة اسلامية أسهم فيها العرب وغيرهم في ظل اخاء عام وفطرة سليمة .

ولكن العرب نسوا معقد شرفهم وعروة مجدهم ، وظنوا أنهم بغير الاسلام يمكن أن يكونوا شيئا .. ! وقوى هذا الشعور أو ضعف حسب انكماش الايمان وامتداده وجاء دور الهزيمة العامة في تاريخ العرب الأخير ، والعرب يفخرون بأصلهم لابدينهم ويتحدثون عن دمهم لا عن نسبهم الروحي الثاقب .

ولعل أغرب مفارقة في تاريخ الحياة كلها أن يقبل اليهود في موكب تقوده التوراة ، على حين ينسى العرب قرآنهم ، بل تستعجم لغتهم على أفواههم فما يحسنون النطق بها !! وبدهي أن تتلاحق المخازى في شئون العرب السياسية ، الاجتماعية ، وألا يبدو لهم نصر في أفق من الآفاق .

كيف ؟ وقد تيقظت الشهوات ، وصرخت الأثرة وشرع العرب المعاصرون يحيون كما كانت عاد وثمود . يبطشون بطش الجبابرة ولا يروى لهم عطش الى الملذات الحرام .

ان العرب ـ بعيدا عن الاسلام ـ لن يكونوا الا حطب جهنم ! ذاك في الدار الآخرة أما في هذه الدنيا فان العرب بعيدا عن الاسلام ـ سيأكل بعضهم بعضا . ثم يأكل بقيتهم اليهود والنصارى !! اذا كان الدين ضرورة أساسية لرشد الناس ، وقيامهم بحقوق خالقهم ، فان الدين ـ للعرب هو الهواء الذي يبقى حياتهم ، أو الغذاء الذي يمسك كيانهم ، فليروا رأيهم ، ان شاءوا الحياه أو شاءوا الممات .

القضاء في الإسلام

وتحت هذا العنوان كتب الأخ / محمد عصمت عبدالرحيم فقال :
قال تعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »

القضاء عدالة لها قداستها ، وأمانة لها نزاهتها ، وعبادة لها طهارتها ، وتنفيذ للأحكام يبعث في النفس الثقة والاطمئنان .

فهو يضرب على يد المنحرف حتى يفيء الى رشده ، ويقلع عن غيه ، ويكف عن ايذاء غيره . لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يتولى القضاء بين الناس بنفسه ، متخذا القرآن مصدر قضائه، فهو القائل

لمعاذ حين ولاه على اليمن « كيف تحكم بين الناس » فقال معاذ بن جبل أحكم بكتاب الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : فبسنة رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال : اجتهد رأيي ولا آلو . فقال صلى الله عليه وسلم « الحمدلله الذي هدى رسولَ رسولِ الله الى ما يرضى الله ورسوله »

نهج الخلفاء ، نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يتولون القضاء بين الناس بأنفسهم ، متخذين القرآن والسنه مصدر قضائهم .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية في عهد عمر الفاروق عهد بالقضاء الى صفوة من الصحابة ، وأوصى عمر بن الخطاب الوالى ابا موسى الاشعري « ان آس بين الناس في مجلسك وعدلك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس وراجعت فيه نفسك أن تسترجعه وتسترده ، فان الحق قديم ، وإن الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ، وذلك الامام على كرم الله وجهه عندما عين الاشتر النخعي ولاية مصر قال له :

أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك ،

وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، ممن لا تشرف نفسه على الطمع ، وممن لا يزد هيه إطراء ولا يستميله اغراء ، ثم افسح له في البذل مما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ،

وما أجمل نصيحه الحسن البصرى رضي الله عنه لابن هبيرة القاضي حين استشاره

فقال الحسن البصرى :

يا أبن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فأنفذه ، وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من كتاب يزيد .

فقال له ابن هبيرة : صدقت ورب العالمين .

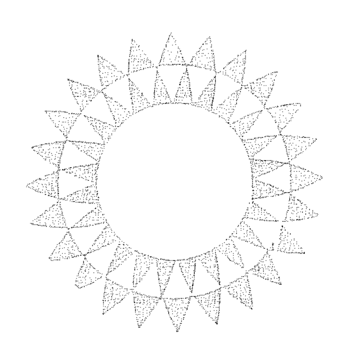
قال صلى الله عليه وسلم « من ولي القضاء فقد ذبح بدون سكين » لقد كان المسلمون الأوائل يتهيبون القضاء ويرغبون عنه ، اما خوفا من عدم القيام بالتزاماته أو خوفا من أن يحملهم الولاة على اصدار احكام لا تقوم على اساس من الحق ، فمن ولى منهم القضاء ، التزم بكتاب الله وسنة رسوله ليحدد حركاته ومعاملاته على وجه يباعده عن الظلم والجهل ويصعد به لأوج الحق والعدل .

فكانوا يتحرون الحق ، لاقامة موازين العدل ، مدفوعين الى ذلك بروح التقوى ، يخوضون الدنيا للحق حيث كان ، لا يخافون في الحق احدا حتى ولو كثر اتباع الباطل . عاملين بقوله تعالى : « وممن خلقنا يهدون بالحق وبه يعدلون »

اليك قضية أمرأة اشتكت أمرها للقاضي شريك بن عبدالله .

فعندما امتنعت عن بيع بستانها للأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدي ، أمر غلمانه ، فأزالوا حدود بستانها ومعالمه ، وخلطوه ببستانه ، فارسل يستدعي الأمير ، لحضور مجلس القضاء ، فأرسل الأمير رئيس الشرطة بالكوفة ليطلب منه العدول عن هذا فما كان من شريك ألا أن حبس رئيس الشرطة ، فلما علم الأمير بذلك أرسل بعض الوسطاء فما كان من القاضي شريك الا أن نهرهم ، قائلا :

ان العداله لا تفرق بين أمير وصغير ، ولما علم الأمير بذلك ، ذهب في ركب من حراسه الى السجن وأخرج المسجونين عنوة . فأعد القاضي نفسه للسفر للقاء الخليفة ، وطلب إعفاءه من القضاء قائلا : والله ما طلبت من بنى العباس



ولايـة القضـاء ، وأنمـا هم الذين اكرهونا عليها ، ولقد وعدونا ان نكون أعـزة أحرارا ، نتـوخى العدل في أحكامنا ، أما الآن فلا سبيل للبقاء في مجلس الحكم ما دمنا عاجزين عن آداء الأمانة ، ثم انصرف .
فلحق به الأمير واسترضاه ، فقال القاضي : الحل عندي أن يرد الى السجن من أمرت بحبسهم ، أو أن يحضر الوالى مجلس القضاء مـع المرأه . فنفذ الوالي ، وحكم عليه برد البستان واقامة الحدود والمعالم التي هدمت ، فنفذ الحكم .
هكذا كان القضاء في الاسلام ، يتولاه رجال فقهاء صادقون بكتـاب الله عاملون ، قال تعالى « فـاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

النظر في آيات الله « عز وجل »

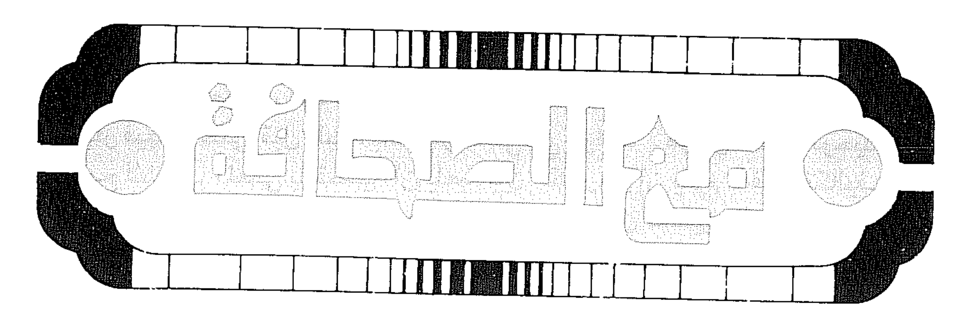
تحت هذا العنوان كتب الصديق عبدالمنعم توفيق ـ يقول :

تباركت يا من تملك الخلق والأمرا ... لك الحمد لا نحصى ثنـاء ولا شكرا
تعامت عقول الخلق عن درك ما ترى ... فلم يبصروا في الكون آياتك الكبرى
بسطت عـلى الغبراء للنـاس أنعمـا ... واطلعت في الخضراء انجمها الزهرا
وأجـريت شمسا يستضـاء بنـورهـا ... وأطلعت للسـارين في ليلهـم بـدرا
فكـان نظـام الكـون أكبـر آيـة ... عـلى قـدرة تغنـوا لآثـارهـا قسـرا
الم يخلق الانسان من اصل نطفة ... ليـذعن للمـولى ويمتثـل الأمـرا ؟
الم ينظـر الانسـان للـزرع نظـرة ... فيبصر آثـار الجمـال بـه تتـرى ؟
الم ينظـر الانسـان للغيث هـاميـا ... وكيف به قد أصبح الزرع مخضرا ؟
الـم ينظـر الأحيـاء للمـوت آتيـا ... الم يبصروا كم في الثرى حفروا قبرا ؟

فيـا شقوة العـاشين عن ذكـر ربهم ... عموا عن صراط الحق وانتحلوا عذرا
تبصر وقـم للـه في هـداة الـدجى ... تفـز بنعيم الخلد في دارك الأخـرى
وهيـا بنـوا الاسـلام اعلـوا منـاره ... وشدوا عراه تكسبوا الفخر والأجرا

افيقوا بني الاسلام قد طال نـومكم ... وقـد يبعث الأعداء من بـات مغترا
أعـدوا لهم من قـوة مـا ستطعتم ... ولا تغفلوا عن كيدهم وخذوا الحذرا

تـركنـا كتـاب اللـه لم نَـرع حقـه ... ونحن بمـا يحويـه من حكم أدرى
فيـا أمـة الـدين الحنيف تمسكـوا ... جميعـا بحبل اللـه واتحـدوا طـرا
وسيروا على نهج الهداة وأصلحـوا ... شؤونكم كي تمنحوا الفوز والنصرا



تشغل الصحافة العربية والعالمية في هذه الأيام مسألتان كبريان : مسألة الشرق الأوسط ، ومسألة أفغانستان . والحقيقة أن بين المسألتين وجوها عدة من التشابه ، ولكن التشابه الجوهري الرئيسي بينهما هو أن أعباء كل من المشكلتين تقع على رؤوس المسلمين وحدهم ، وأن التكاليف الباهظة لكل منهما يقوم بدفعها المسلمون وحدهم : دماء زكية ، وعذابات مضينة ، وأموالا مضيعة .. ومع ذلك فان بين المشكلتين في هذه الآونة فرقا جوهريا رئيسيا أيضا : فمشكلة الشرق الأوسط دخلت الآن ـ أو أدخلت عنوة وكيدا ـ في نطاق المساومات الدبلوماسية ، بعد أن تم اطراح الخيار العسكري ، وأصبحت النتائج التي يمكن أن تنجلي عنها المفاوضات شبه واضحة ، أو قل : إنها تسلك سبيلا واحدا لا بديل له : كل خطوة فيه تعني تنازلا جديدا من طرف ، وتعنتا وتشبثا بالشروط من طرف آخر . أما مشكلة أفغانستان فمايزال المسلمون هناك يحملون بنادقهم ، ويتصدون كل يوم للغزاة السوفيات ، وهذا يعني أنهم مايزالون يملكون بين أيديهم الخيار العسكري ، ويمارسونه أيضا على نحو فعال جدا . ومع ذلك تحاول صحف الغرب أن توحي بأن حلا دبلوماسيا يوشك أن يضع نهاية للصراع في أفغانستان ، وليس من المستبعد أن تكون هناك مساع دولية حثيثة للحل الدبلوماسي ، ولكن المهم أن المجاهدين الافغان مايزالون قادرين على أن يتخذوا قرارهم الذي يكفل مصالح المسلمين هناك وحقوقهم ، ماداموا قادرين على أن يوقعوا بالعدو الغازي ، وماداموا ثابتين تحت راية الجهاد .

ومع ذلك يظل وضع المسلمين في أفغانستان عرضة للخطر . صحيح أن ما تتحدث به صحف الغرب عن الحل الدبلوماسي قد يكون ضربا من التخمين ، دفع اليه موت بريجينيف ومجيء أندروبوف من بعده ، أو ذكرى مرور سنوات ثلاث على الغزو السوفياتي لأفغانستان ، أو بداية عام ميلادي جديد ، أو رغبة السوفيات في التفاهم مع الصين ، أو تصريحات بعض المسؤولين في أمريكا والغرب بأن النية تتجه نحو ايجاد لون من التفاهم بين الكبار ، بعد انقضاء عام ساخن جدا ، حفل بألوان الصراع في عدد من مناطق العالم . ومهما يكن نصيب هذا التخمين من الصحة ، فهو احتمال قائم ، وهو ينطوي على دلالات فيها الكثير من الخطورة التي تحدق بالمجاهدين في أفغانستان . ذلك بأن من الحقائق المؤسية في عالم السياسة

أن قضايا الشعوب ، عندما توضع على موائد المساومات الدولية ، يتفق المساومون الكبار فيها ـ حتى قبل البدء بالحوار ـ على شيء واحد : هو أن الدور الوحيد الذي يسمح للشعب المعني بالقضية أن يلعبه بين الكبار هو أن يقوم بدفع التكاليف التي تضمن مصالح الكبار ، و « تحمي أمنهم » ، وتكفل تحقيق التفاهم فيما بينهم « على قضيته » !

وحين يزمع الكبار أن يبدؤوا بترتيب أسباب التفاهم فيما بينهم يشرعون بالضغط على الشعب صاحب القضية ، ويقومون بحصاره والتضييق عليه .. وتصدر إذ ذاك الأوامر العليا من الكبار الى أتباعهم الصغار بإحكام الطوق على الشعب الضحية ، فتسكت وسائل الاعلام فجأة عن قضيته ، وتنقطع المعونات عنه ، وتغدو الصحافة مشغولة شغلا كاملا بما يتناثر على موائد المساومات الدبلوماسية من شروط وتصريحات وتنازلات ومناورات ..

شيء واحد مايزال يضيء الأمل ويستعصي ـ حتى الآن ـ على سحر الكبار : أن رصاص المجاهدين مايزال يدوي بين أطراف الجبال الداكنة في أفغانستان فيزيد هتافهم « الله أكبر » قوة وحماسة .

○ في الشرق الأوسط : خدع ومكائد .

تعرب معظم الصحف العربية عن يأسها من أن ينال المفاوضون العرب شيئا ذا بال من حقوقهم المسلوبة ، وذلك بسبب ما آلت اليه أوضاع القوى بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان . والصحافة عامة ـ عربية وأجنبية ـ تدرك ادراكا لامرية فيه أن المفاوضين العرب لم يعد لهم صوت مسموع ، بعد أن تم اسقاط الخيار العسكري واستبعاده تماما ، وبعد أن وضح الاستسلام الكامل للنوايا الأمريكية والخطط الأمريكية ، في انتظار ما يمكن أن يسمح به « الكرم الاسرائيلي » من تنازلات . ولما كانت السوابق الأمريكية قد أصبحت معروفة فان التحرك الأمريكي لا يعدو أن يكون مجرد مكيدة أو خدعة كبرى : حول هذا الموضوع كتبت الرأي العام الكويتية في ٧ ربيع الأول افتتاحية جاء فيها :

من الواضح أن الأميركيين يجيدون المخادعة والتدليس ، وصولا الى أهدافهم . ولابد ان هذه المزايا سوف تكون موضع الاعتماد الاقصى في هذه المرحلة ، حيث بدا أن العرب ، بعد ضربة لبنان ، سقطوا يترنحون طائشي الصواب . بل كالثمرة التي « نضجت » يقتلها نضوجها ذاته !

إن السلام المطروح ، لا يتعدى السراب ، وقصاراه أننا نسجل رفع أيدينا بالاستسلام . فلا الولايات المتحدة ، ولا أسرائيل ، يريدان السلام حقا . بل

إنهما تعرفان أن السلام المطروح ليس سلاما . ولقد شكل رفض الشعب المصري للتطبيع برهانا قاطعا على أن هذا السلام ليس سلاما . وبرهن كلام الدولة المصرية ؛ بلسان وزير دفاعها الفريق أبو غزالة ، عن ضرورة إقامة التوازن الستراتيجي بالسلاح ، أن السلام مع اسرائيل هو وهم أميركي كبير ، بل هو الخدعة الكبرى .

وإذن فعن أي سلام يتحدثون ، وأية حقوق ، وأية فرصة ؟ !

أما صحيفة الأنباء الكويتية فقد نشرت في ٨ ربيع الأول مقالة أبرزت ما ينطوي عليه الموقف العربي من تناقضات في المساعي المبذولة في إطار ما يسمى بتسوية القضية الفلسطينية ، في حين أن معظم الظواهر تؤكد على أن العدو اليهودي يتشبث تشبثا عنيدا بمطالبه « التوراتية » فيما يدعيه من حقوق . تقول المقالة :

هناك سؤال يدور حول اطار التسوية . فالاطار الرسمي الاسرائيلي هو الحكم الذاتي حسب اتفاقات كامب ديفيد . والاطار الرسمي الاميركي هو كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالاردن ، حسب « مشروع ريغان » . والاطار العلني العربي هو اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، حسب « مشروع فاس » . لكن الدول العربية تتصرف عمليا على اساس أن المشروع الواقعي القابل للتنفيذ هو المشروع الاميركي . وهي تدفع الاحداث باتجاه تفاهم فلسطيني ـ اردني يحل مشكلة من يفاوض ومن يسترجع الارض . وليس سرا ان عددا من قادة منظمة التحرير يقولون في المجالس الخاصة ان اقصى ما نستطيع الحصول عليه هو ما تستطيع اميركا ان تعطينا اياه . وليس سرا ايضا ان احد وزراء الخارجية العرب قال لقادة المنظمة : المطروح أمام الجميع هو استعادة الارض مقابل الاعتراف باسرائيل ، فاذا كنتم تريدون استعادة الارض فتعالوا نفوض الملك حسين صلاحية التفاوض ، واذا كنتم تريدون دولة مستقلة فان هذه لا تأتي بالوسائل الديبلوماسية .

ونحن الآن في مرحلة الضغط الاميركي على العرب من أجل المزيد من الليونة في المواقف ، لا في مرحلة الضغط الاميركي الجدي على اسرائيل .... والفارق بين الدول العربية هو ان بعضها يطلب من السيد ياسر عرفات تفجير قنبلة الاعتراف باسرائيل في قصر الاليزيه في باريس ، في حين ان بعضها الآخر يعتبر ان حديقة البيت الابيض المكان المثالي لمثل هذا التفجير . فالمنطق الذي تحاول ادارة الرئيس ريغان « تسويقه » هو ان من الافضل « محاصرة » مناحيم بيغن بالاعتدال العربي والاميركي من أجل محاصرته في الداخل بخلق نوع من الاعتدال الاسرائيلي في صفوف الرأي العام وحزب

العمل المعارض . لكن الحسابات الاميركية على الورق لا تزال خاطئة على الارض ، الى حد ان وزير الاعلام الاردني عدنان ابو عودة أوجز الوضع بقوله : هناك مشروعان للنقاش هما مشروع ريغان ومشروع فاس ، ومشروع للتطبيق هو مشروع بيغن ، اي ضم الضفة والقطاع .

أما عن المشكلة اللبنانية فتصورات الصحافة عن مستقبل لبنان غامضة ومضطربة . بعض الصحف تعتقد بأن المفاوضات بين الوفدين اللبناني والاسرائيلي هي من قبيل تحصيل الحاصل فاسرائيل ـ كما تقول القبس في ١٥ ربيع الأول :

اسرائيل تقدم مطالبها بالجرافة ، ولبنان يحفر جبل المطالب الاسرائيلية بالابرة . وشاهد الزور الاميركي يلعب دور القرد في الاسطورة ، يأكل من جبنة هذا ، ويقضم من جبنة ذاك حرصا على العدل وقسمة الحق !
واسرائيل تفاوض مسترخية ، وهي تضع قدميها في مياه الليطاني ، كما كانت تفعل عند ضفة السويس . ولبنان يفاوض وهو يضع يديه في النار . وأميركا ترعى المفاوضات وهي تضع عينا على الطعم اللبناني في الصنارة الاسرائيلية ، وعينا أخرى على صيدها الوفير المتوقع في الشرق الاوسط ، والممتد على طول رقعة العالم العربي .

وسحبت اسرائيل حاليا أكثرية جيشها الغازي من الاراضي اللبنانية واعادته الى اسرائيل . وبعد أن وصل عدد القوات الاسرائيلية في لبنان الى حوالي ١٢٠ ألف جندي ، فان عددها الان لا يتجاوز الاربعين ألفا كما يقال . وهذا يعني ان اسرائيل خفضت بنسبة كبيرة جدا مخاطر وجود قواتها في لبنان ، وامتصت نسبة كبيرة من احتجاج أهالي الجنود داخل اسرائيل ، واختصرت نسبة كبيرة جدا من النفقات العسكرية .

بيد أن صحفا أخرى تنظر الى الأمور في لبنان من زاوية أخطر ، فصحيفه « لوموند » ترى ـ في مقال نشرته في أوائل ربيع الأول ـ أن لبنان بات مقسما بالفعل :
تقول « لوموند »

إن تقسيم لبنان بين دمشق وتل أبيب ، وهو أمر يشك كثير من اللبنانيين أن للولايات المتحدة ضلعا فيه ، مسألة قد تحققت بالفعل ، لان سلطات أمين الجميل تقتصر فعاليتها على العاصمة بيروت فقط (وهو الانجاز الوحيد الذي حققه الرجل) .
فالمعارك مستمرة بين المليشيات الاشتراكية والمليشيات الكتائبية في منطقة الشوف .

واندلعت أيضاً المعارك في شمال البلاد وفي طرابلس على وجه التحديد . وتسوية المشكلة الاسرائيلية الفلسطينية لم تحرز أي تقدم هي الأخرى .

أما صحيفة الغارديان فتحلل الوضع في لبنان بعد الغزو الصهيوني الأخير في مقال نشرته في أوائل صفر جاء فيه :

لقد اخل الغزو الاسرائيلي للبنان وما تبعه من ضعف للمسلمين وفصائلهم المسلحة ، بالميزان السياسي اللبناني ، وواكب هذا الضعف قوة وسيادة مطلقة للطائفة المسيحية ـ فأصبحت تلك السيادة كاملة وقانونية بعد انتخاب الرئيس المسيحي للدولة تعززه ميليشياته المسيحية الكتائبية ـ وعلى الرغم من أن المسلمين في لبنان ما زالوا يشكلون الاغلبية العددية في البلاد ، الا انهم وضعوا في حالة مروعة من اليأس والخذلان ، يأسا املته عليهم حرب اهلية طاحنة طوال سبع سنوات كاملة جنوا تبعاتها ضعفا وهوانا وخذلانا مرده موقف الدول العربية التي كانوا دوما يسندون ظهورهم اليها يتوقون لدعمها ومساندتها والمسيحيون اللبنانيون هم في الحقيقة فصائل مؤتلفة ولكنها مختلفة في الفكر والاتجاه ومستوى التطرف ، فهناك من يطلق عليهم اسم « البشيريون » وهم اتباع بشير الجميل الرئيس اللبناني السابق الذي اغتيل قبل ان يتولى رسميا مهام منصبه ، وهم يمثلون الان اكثر الفصائل المسيحية تطرفا وكأنهم يرون ان التهديد لسيادة لبنان لا يأتي الا من قبل مسلميه على الرغم مما يبدو الان على سطح المسرح السياسي في لبنان من سهولة انقياد المسلمين اللبنانيين في الاتجاه الذي خطط لهم .

○ في أفغانستان : طبخة دولية .

بينما تكثر صحف الغرب من الحديث عن الحل الدبلوماسي الوشيك في أفغانستان يؤكد المجاهدون المسلمون هناك إصرارهم على المضي في طريق الجهاد ، بارادة صلبة ، وايمان عميق ، وثقة كبيرة بنصر الله . ففي محاضرة ألقاها في مسرح جامعة الكويت في اواسط ربيع الأول رئيس الاتحاد الاسلامي للمجاهدين الأفغان المجاهد عبد رب الرسول سياف .. أكد أن المجاهدين الأفغان قاموا خلال السنوات الثلاث الماضية من عمر الجهاد ضد الغزو الروسي بتحرير العديد من المدن والقرى ، وهم يواصلون عملياتهم الفدائية ضد الغزاة في العاصمة كابل .

وهاجم المجاهد سياف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وقال انهما تشتركان في تنفيذ مهمة تصفية الجسد الاسلامي ووأد الجهاد ومحاصرة الوجود الاسلامي . وخاطب المدعوين بقوله : انني حضرت اليكم مندوبا من مدرسة الجهاد الغالية ، وممثلا عن أولئك الذين يعيشون حلاوة النصر في خنادقهم وهم

يتصدون لمواجهة عدو المسلمين الشرس .. جئت أحمل لكم دماء المجاهدين وصرخاتهم .. الذين تركوا وحدهم يعيشون وسط نيران المدافع ..

ومع ذلك تفوح مما يكتبه صحفيون غربيون رائحة طبخة دبلوماسية ، قد يتواطأ على ترتيبها أطراف دولية كبرى معنية بالمسألة الأفغانية ، ولعل هذا يظهر بوضوح في مقال نشرته مجلة الوطن العربي في عددها ٣٠٦ بتاريخ ٨٢/١٢/٢٤ لأحد الكتاب الفرنسيين المختصين بالشرق الأوسط (فيليب روندو) . وقد جاء في المقالة :

اذا كان من غير الممكن إذا ان ينتصر السوفيات في هذه الحرب أو يتخلوا عنها ، فان البديل هو مفاوضات تؤدي الى تركيز افغانستان محايدة ، ولكن صديقة للاتحاد السوفياتي ، وهي الصيغة التي اعلن الجنرال ضياء الحق رئيس الدولة الباكستانية رغبته فيها خلال زيارته الاخيرة الى بكين . ومن الملفت ان يعلن اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي ومندوبه في الأمم المتحدة علنا ، مساندتهما للخطة التي اقرتها الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي وهي خطة قد تم الاتفاق حولها بين افغانستان وباكستان وتقضي بسحب ١٥٠ ألف جندي سوفياتي من افغانستان . كما تلحظ تشكيل حكومة ائتلافية في كابول قد تضم عناصر من « المقاومة » ولكنها تبقي على العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي . وقد وضع جدول لانسحاب سوفياتي يشرف عليه معا الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الاميركية ومهمة هؤلاء الفرقاء التأكد من أن أيا من الفريقين لن يقوم بأعمال عسكرية ضد الآخر خلال فترة الانسحاب بالذات . تبقى بالطبع ، برسم الحل ، مشكلة عودة مليونين و ٨٠٠ ألف لاجيء افغاني في باكستان ومليون لاجيء اخر في ايران .

ان يوري اندروبوف قد يكون إذا مستعدا لوضع حد لمغامرة ادت الى تدهور العلاقات السوفياتية مع الغرب والدول الاسلامية ودول عدم الانحياز وكلفت باهظا في المال والضحايا من الجيش الاحمر . رغم ذلك يبقى الخبراء الاميركيون في موقف شك ثابت . هم يرون انها عملية طويلة المدى لأن الكرملين يسقط من حسابه امكانية ان تتولى السلطة في كابول حكومة افغانية معادية للسوفيات في حين ان قرار الامم المتحدة ينص على احترام حق الشعب الافغاني في تقرير شكل الحكم الذي يلائمه . هذا ولا ينبغي ان يتخذ الانسحاب السوفياتي صيغة التراجع وتكون الخيارات بالتالي محدودة جدا .

ومهما يكن من أمر ، فمادام المجاهدون الأفغان يحملون بنادقهم فهم اذن مايزالون يملكون زمام قرارهم ، ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين في سائر أوطانهم عن دعم الجهاد الاسلامي في أفغانستان ، والحفاظ على الراية مرفوعة .

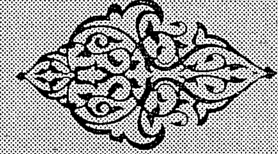


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –